الفصل الثانى

المنطلقات النظرية للدراسة

القسم الأول: المنظور التاريخى التطورى لمفهوم معنى الحياة فى الفلسفة وعلم الاجتماع :

أولاً - اسهامات الفلسفة

- الوجوديه.
- الفينومولوجية.
- فلسفة الحياة.
- الفكر الفلسفى للأديان.

ثانياً : اسهامات علم الاجتماع

- المجتمع والفرد.
- المعايير وفقدان المعايير.
- تماسك الجماعة الداخلى.
- التعاون والصراع.
- تنظيم الخبرة الإنسانية.
- تكوين الخبرات وشخصية الفرد.
- المعنى والمجتمع.

القسم الثانى : معنى الحياة فى علم النفس

- تمهيد.
- مفهوم معنى الحياة تمايز المفهوم.
- السياقات الخاصة بتكوين المعنى.
- كيفية تكوين المعنى.
- إرتباطات المعانى.
- توجيه المعنى.
- فقد معنى الحياة لدى الفرد وأسبابه.
- تأثير فقد المعنى على سلوك الفرد .

- الخبرات والمعانى.
- الجوانب الوجدانية فى تكوين المعانى.
- الجوانب العقلية المعرفية وتكوين المعانى .
- معنى الحياة وبعض العوامل الديمجرافية.
  - النوع .
  - العمر .
  - نوعية الحياة.
  - أسلوب الحياة.

القسم الثالث: الشخصية ومتغيراتها :

- تمهيد :-
- نموذج العوامل الكبرى للشحصية "الوعاء العالمى للبنود".
- نموذج السمات المكونة لأبعاد ايزنك "بعد صلابة – مرونة التفكير"
- بعض متغيرات الشخصية .
  - وجهة الضبط .
  - الوحدة النفسية .
  - قوة الأنا .
- معنى الحياة والشخصية .

القسم الأول :المنظور التاريخى التطورى لمفهوم معنى الحياة فى الفلسفة وعلم الاجتماع

أولاً - اسهامات الفلسفة :

أ) الوجوديه .

ب) الفنيومولوجية .

ج) فلسفة الحياة .

د) الفكر الفلسفى للأديان

ثانياً : اسهامات علم الاجتماع.

أ) المجتمع والفرد

ب) المعايير وفقدان المعايير

ج) تماسك الجماعة الداخلى

د) التعاون والصراع

هـ) تنظيم الخبرة الإنسانية

و) تكوين الخبرات وشخصية الفرد

ز) المعنى والمجتمع

obeikandi.com

القسم الأول :المنظور التاريخى التطورى لمفهوم معنى الحياة فى الفلسفة وعلم الاجتماع

يعتمد كل علم من العلوم فى بنائه المتماسك على مدى تكامل المعلومات والبيانات الخاصة ببحثه، وبالتراكم المستمر لهذه البيانات . وعلم النفس بوجه خاص مبنى على تراكمات الأبحاث التى لا تأتى بمفاهيمها من فراغ فلها جذور درست من قبل. ويستفيد علم النفس دائماً من العلوم الإنسانية الآخرى التى تساهم بشكل جزئى فى نمو المفاهيم، ويأخذ علم النفس منها ما يناسب طبيعة الدراسة فيه وبما يفيد الإنسان الذى هو محور دراسته.

ومفهوم معنى الحياة من المفاهيم التى درست فى الفلسفة بإعتباره أحد الجوانب الهامة جداً فى حياة الإنسان، فلا يمكن أن يعيش الإنسان دون أن يتساءل عن معنى حياته وجدواها. كما أن للمفهوم جذوراً فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كما أن للمفهوم وضعه الخاص فى الدين. ولذلك فقبل دراسة مفهوم معنى الحياة فى علم النفس ، لابد وأن نعرض بإختصار لكيف تناولته العلوم الإنسانية وخصوصاً الفلسفة وعلم الاجتماع.

ناقشت بعض العلوم الإنسانية (الفلسفة والاجتماع) مفهوم معنى الحياة والإنسان فى إطار كلى متكامل له حاضر، وماضى، ومستقبل يؤثر بشكل مباشر فى تكوين المعانى. كما ناقشت أثر الخبرة المعاشه والمكتسبة والوعى ودورهما فى تكوين وإدراك الإنسان للمعانى، بل وكيفية مساهمة هذه الخبرات فى تكوين هذه المعانى، هذا فضلاً عن التساؤلات الخاصة: بوجود معنى واحد، أو عدة معانى لدى الإنسان، وسبب توجه الإنسان نحو السلوك المنحرف "المخدرات والمسكرات" إذا ما حدث أن فقد معنى حياته، وكيف يبحث الإنسان عن معنى يحيا من أجله ويعيش مسئولاً عن تحقيقه، والجوانب المكونة للمعانى الداخلية "الفسيولوجية" كما فى الغضب والسرور، وأخيراً ارتباط معنى الحياة بإرادة الإنسان وفهمه لذاته وقابليته للتغير. وسوف تتعرض الباحثة فيما يلى لإسهامات الفلسفة وعلم الاجتماع.

أولاً :إسهامات الفلسفة

الإنسان فى كل زمان ومكان مبحث أساسى فى كل فكر وكل علم. فمنذ أن نشأ التفلسف وحتى الآن كانت الفلسفة تبحث، وتستنبط، وتحلل الإنسان ومظاهر الحياة وما يرتبط بهما كالمجتمع، أو التاريخ، أو الظواهر بوجه عام، سواء أكان ذلك بشكل كلى أم جزئى. فقد اهتمت الفلسفة بالبحث فى قضايا ضرورية ومهمة لحياة الإنسان كالحق، والواجب، والخير، والجمال، والفضيلة، والحرية، وما يرتبط بها من معانٍ وسلوكيات.

وتنوعت المذاهب الفلسفية التى درست مثل هذه القضايا من زوايا مختلفة متمثلة فى عدة اتجاهات: كالاتجاه المادى" أو فلسفة المادة "، والاتجاه الروحى " أو فلسفة الفكر"، والاتجاه الحيوى " أو فلسفة الحياة "،

والاتجاه الفنومنولوجى " أو فلسفة الماهية "، و الاتجاه الأنطولوجى "أو فلسفة الكينونة" و الاتجاه الوجـــودى " أو فلسفة الوجود". (زكريا ابراهيم، ١٩٦٨، ١١-١٣) .

وتعتبر الفلسفة الوجودية وفلسفة الحياة والفلسفة الظاهرياتيه (الفينومولوجية) من أقرب الفلسفات التى تهتم بدراسة الإنسان ككل من حيث هو موجود، وأن وجوده فى العالم مع آخرين، وما يشتمل عليه ذلـــك مـــن دلالات. ولاشك أن معنى الحياة أحد هذه المعانى. ولا يمكننا أن نغفل فى هذا المضمار فلسفة الأديان من حيـــث ما تمثله للإنسان من معانى يحيا بها ولها. ولما كان موضوع الدراسة هو معنى الحياة فلابد من البحث عن جـــذوره الفلسفية فى الفلسفات التى تهتم بدراسة الإنسان وتركز عليه، لذلك ستقدم الباحثة باختصار للفلسفة الوجودية، والفلسفة الظاهرياتيه، والفلسفة الحيوية وفلسفة فكرالأديان من خلال إسهامات بعض ممثليها، وتقف على مدى الاستفادة التى يمكن أن تلقى بعض الضوء عند دراسة معنى الحياة فى علم النفس.

أ) : الاتجاه الوجودي(أو فلسفة الوجود)[1]

قد نجد صعوبة فى الحكم بصفة عامة على هذه الفلسفات أولاً بسبب تنوعها وبصفة خاصة بصدد سارتر وذلك بسبب تنوع الحلول التى أتى بها. فهناك التباس قائم بين الحرية والالتزام وبين النـــزعة التشاؤمية والعمل الاجتماعى وربما هذا الالتباس كان سبباً من أسباب قيمة هذه الفلسفات بل ونجاحها أيضاً وذلك لأنها تبرز لنـــا خصائص الإنسان. (جان فال،١٩٥٨،٢٣٢) وبشكل عام فالقلق والمسئولية وموقف الإنسان فى العالم والحريـــة والفعل الخالق كلها هى المعانى الكبرى التى تنطوى عليها الوجودية. ومن خصائصها:أنها تنبع من وجود الإنسان وتركز عليه. (عبد الرحمن بدوى، ١٩٦١ ، ٢. : راوية عبد المنعم ،١٩٨٦، ٢١٤-٢٤.)

ومن هنا ترى الباحثة أن الوجودية اهتمت بالإنسان وأزمة وجوده ومسئوليته والتزامه وحريته وموقفه من العالم ،فالإنسان ليس مجرد شىء ولكنه كيان له قيمة كائن عاقل متمتع بإرادة حرة.

وفلسفة جان بول سارتر J. P. Sarter) ليست تشاؤمية بل هى للتفاؤل، فالوجودية فهم لحقيقـــة الوجـــود ودعوة للعقل مع ذلك، فأنا عندما أفعل رغم علمى بحقيقة الوجود إنما أتحمل مسئولية وجودى وأضـــفى معـــانى وقيماً لوجودى ووجود الآخرين . (عبد المنعم الحفنى،١٩٦٧، ١. ٣) ويرى ســـارتر أن الأهـــواء والرغبـــات والانفعالات والعواطف من حيث إنها مظاهر للوعى تتميز بما يتميز به الوعى من خصائص وأول هذه الخصـــائص هى القصد أى التعلق بموضوع ما، فالأهواء تتعلق بموضوعها وتتجه إليه والاتجاه أو القصد هو شروع ومبـــادرة، فالأهواء هى أيضاً مثل الارادة شروع ومبادرة . (حبيب الشاروني،١٩٨٤، ١٨٨-١٨٩) فالإنسان موجـــود

---

[1] وهى الحركة المعروفة باسم "الوجودية" ويمكن الارتداد بها إلى سورين كيركجارد Kierkegaard ،ومارتن هيدجر M.Heidegger وكارل ياسبر Jaspers ،وجان بول سارتر J.P.Sarter،وجبريل مارسيل G.Marcel ،وموريس ميرلوبونتى M.Merleau Ponty . وقد تأثر بهذه الحركة آخرون ولكن بعضهم لا يعتبر وجودياً بمعنى الكلمة ومنهم جان فال وجان جريبيه وألكبيه وموبيه وجان لاكرواوندوسيل وغيرهم . (زكريا إبراهيم ،١٩٦٨،ص ١٢-١٣)

ليس فقط كما يتصور ذاته بل كما يريدها بعد الوجود وليس فى ذاته إلا ما يفعل، فالخطوة الأولى للوجودية هى أن نضع الإنسان أمام كينونته وأن نضع عليه مسئولية وجوده الكلية " وهذا غير ممكن إلا إذا كان الإنسان حراً أثناء صوغه لذاته أثناء شروعه بالوجود وإذا حصل لى أن أرفض كل تأمل وكل تقرير إرادى شخصى فإنى مازلت مسؤولاً عن وجودى الذى يجرى فى نوع من الظلمة ومسؤولاً أيضاً عن ماهيتى الحاضرة . ويرى سارتر أن الإنسان يختار ذاته باختياره أيضاً بقية الناس لهذا تكون مسئوليتنا أكثر بكثير مما نظن، لأنها تلزم الإنسانية جمعاء، فالاختيار عند سارتر لا يثيره أى شىء ولا يوجهه أى إنسان، بل يتم فى مجال اللاوعى ممتزجاً بعفوية مطلقة. ويحتاج الإنسان فى وجوده إلى قواعد وإشارات فإذا أنكر هذه القواعد ورفض رؤية تلك الإشارات فقد يفقد الطمأنينة ،لأن اختياره لا يكون عندئذ مبنيٌ على شىء. (لوك لوفافر ،١٩٥٤، ١٦- ٣٢)

ويتبين من العرض السابق أن سارتر تكلم عن الإنسان ككائن عاقل واعٍ متمتع بإرادة حرة ،يبحث عن معنى كماله، وهذا الكمال الإنسان مسئول عنه ،كما أن الإنسان مسئول عن إختياره الذى يرجع إلى معان إنسانية مشتركة بين البشر.

وينظر سورين كيركجارد Kierkegaard للوجودية على أنها حاجة أو تعبير عن ميل يبلغ من العمق درجة يمكن معها أن يستعان به لتعريف شخصيته . (رجيبس جولفيه،١٩٦٦، ٣٢) وفهم الوجود لدى كيركجار معناه الاهتمام به وهذا الاهتمام يدور حول الأسئلة التى وضعها كيركجار : من أنا ؟وما معنى العالم ؟من أنا وكيف دخلت هذا العالم ؟ وهذه الأسئلة ليست لها معنى لو لم يكن العالم أمراً متوقفاً على إرادتى. (عبد الرحمن بدوى ،١٩٦١،٥٣). ويتحدث كيركجارد عن الحقيقة أن يجد الإنسان الفكرة التى من أجلها يريد أن يحيا ويموت" ويقول "الحقيقة هى ذات الحياة التى تعبر عنها : هى الحياة فى حالة الفعل"(رجيبس جولفيه،١٩٦٦،٣.)

ولليأس فى فلسفة كيركجارد مكانه مهمة جداً، فلولاه لما استطاع الإنسان أن ينتقل من المدرج الحسى إلى المدرج الأخلاقى لن يختار ذاته ولما كان اختيار الذات مقولة أساسية فى فلسفة كيركجارد كان اليأس مهماً جداً لديه حيث يقول "إذا لم ترد أن تكون شاعراً فحينئذ عليك أن تختار اليأس، فحتى اليأس اختيار . واليأس هو أشد تعبير عن التهديد بالخواء وانعدام المعنى ،إنه أوج النمط الحسى فى الوجود، والحياة الحسية تتبدى إذن عن يأس، وفى اليأس تعانى الذات ضياع الرجاء. لأن الإلهاء لا يزود المرء بعد الإشباع المؤقت هنالك يتبين لرجل الحواس أنه لا يستطيع أن يجد نفسه خارج نفسه لا فى مساعيه نحو اللذات وإرضاء الحواس ولا فى تجريديات تفكيره العقلى النظرى بل ينبغى علٰيه أن يتوجه إلى باطنه حتى يكتشف ذاته الحقة وعليه أن يرتفع إلى الجد والوجدان واتخاذ القرار والالتزام والحرية، فبالحرية وحدها يكون قادراً على أن يجمع ذاته بعد تشتتها فى الوجود وعليه أن يصبح ذاتاً موحدة متكاملة . (سعد عبد العزيز ،١٩٧٠ ،١. ٨ ،١. ٩)

إذن فكيركجارد قد بحث فى معانى كثيرة منها الوجود الذاتى والعالم والإرادة ،وتكلم عن اليأس على أنه اختيار عندما يكون هناك خواء وتهديد وانعدام معنى . وأوضح أن الحقيقة أن يجد الإنسان الفكرة التى يحيا من أجلها.

وقد انشغل مارتن هيدجر M. Heidegger بمشكلة ومعنى الوجود ويرى أن السؤال عن ما هية الوجود يرتبط عن قرب بالسؤال : كيف يمكن الوصول إلى الوجود ؟ وبالتالى فإن الإجابة عن هذا السؤال سيؤدى بنا إلى الإجابة عن ماهية الإنسان، ولن نستطيع أن نفهمه إلا عن طريق وجودنا أو فى صميم كينونتنا (علا مصطفى،١٩٩٤، ٦٢-٦٥). **ويرى هيدجر أن الإنسان موجود فى العالم، وهو يعنى بذلك وجود علاقة وثيقة أو رابطة عميقة قوامها الشعور بالاهتمام تجعل من المستحيل أن نتصور إنساناً بدون عالم أو عالم بدون إنسان . ويؤكد أن الوجود فى العالم كما هو من مقومات الوجود الإنسانى فكذلك يكون "الوجود مع الآخرين " فهو يؤكد على علاقتنا الجوهرية بالغير لأنه يجعل من الوجود البشرى وجوداً مع آخرين** (زكريا إبراهيم،١٩٦٨، ٤٣١، ٤٢٧)

وإهتم هيدجر بالقلق والموت فالقلق عنده خبرة معاشة أو عاطفة وجودية تكشف لنا عما فى نسيج وجودنا من هم وتضعنا وجهاً لوجه أمام العدم الذى يكمن وراء وجودنا . ويضفى عليه هيدجر دلالة وجودية وينسب إليه ضرباً من الفهم، فالقلق مرتبط بواقعة "وجودنا فى العالم". وينظر للموت باعتباره داخلاً فى النسيج الموجود البشرى، يعين الذات على تفهم حقيقة وجودها باعتبارها "إنية" فريدة لا يمكن لأحد أن يقوم مقامها أو أن يحل محلها، فالوجود من أجل الموت هو شرط وجودى، يرى أن حد "المستقبل " هو الموت، وحد الماضى هو تلك الإمكانات المعينة التى لم يتخيرها الفرد . ويحاول الإنسان أن يستجمع ذاته فى الحاضر بالربط بين المستقبل والماضى، فالحاضر عنده لا يجىء إلا بعد "المستقبل" "والماضى" باعتباره نقطة تلاقى حركتين هما: الذات نحو الأمام وحركتها نحو الخلف . (زكريا إبراهيم،١٩٦٨، ٤٣١-٤٤٤)

من العرض السابق يتضح أن هيدجر لا يتصور إنساناً بدون عالم أو بدون آخرين. فهو يؤكد علاقتنا الجوهرية بالغير. ويؤكد الخبرة المعاشة من خلال تصوره عن القلق، الذى يخلع عليه دلالة وجودية وينسب إليه ضرباً من الفهم ،لأنه يوجه الكائن الحى إلى إمكانيات الذات الخاصة به. وعنده الوجود من أجل الموت هو شرط للوجود وهو يرى أن حد "المستقبل " هو الموت ويحاول الإنسان أن يستجمع ذاته فى الحاضر فالحاضر عنده لا يجىء إلا بعد "المستقبل" "والماضى" باعتباره نقطة تلاقى حركتين هما الذات نحو الأمام وحركتها نحو الخلف .

وتنبع فلسفة كارل ياسبر Jaspers أولاً وقبل كل شىء من إحساسها الدرامى بالتناقض الباطن فى أعماق الوجود، فهذه الفلسفة تحدثنا عن المعقول واللامعقول وتكشف لنا عن الاستقطاب الحاد القائم بين الوجود

الـــذاتى والوجـــود الموضـــوعى، وتـــبين تلـــك العلاقـــة العجيبـــة القائمـــة بـــين الحريـــة والضـــرورة (زكريا إبراهيم،١٩٦٨، ٤٧٨-٤٧٩). وقد أثار ياسبرز مسائل كبرى انتهت إلى البحث فى المعانى التاليـــة : الوجود /الاتصال بين الإنسان والإنسان/الحرية /العلو /رموز العلو/الإخفاق. (عبد الـــرحمن بـــدوى،١٩٦١، ٦٤-٦٥) ،كما ميز ياسبرز من الناحية الشكلية بين "الكينونة الموضوع " الكينونة الذات والكينونة فى ذاتهـــا . ويميز بين الكينونة الخاصة والمحددة ولكنها ليست خاصة ومحددة بصورة تامة قط، إنها تسعى بدون انقطـــاع إلى التوجه بحسب يعطى الأهداف، وهى مرتبطـــة ببـــدن لا يمكـــن تفســـيره هـــو ذاتـــه إلا بمجمـــوع الحيـــاة (جان فال،١٩٥٨، ٨١)، والإنسان فى كل مكان ملك الوعى بالوجود فى شموله وبدايته ،وإذا ملـــك الـــوعى بحدوده حدد لنفسه فى عين الوقت أعلى الأهداف وقد التقى بالمطلق فى عمق الكائن العاقل فى وضوح التعـــالى. كما أن الإنسان نتاج للطبيعة ، وهو كذلك نتاج للتاريخ يدرس بالسعى لفهم المعنى الذى جعله الناس لأفعـــالهم وخواطرهم ،وبتفسير الأحداث بالبواعث والمواقف بالمعطيات الطبيعية (كارل ياسبر،١٩٦٧، ١٢٣-١٨٠).

بحث ياسبر فى عدة معانٍ كبرى خاصة بالإنسان :الحرية ،والعلو ،الخفاق ،الضرورة ،الوعى . ويرى أن الإنسان نتاج الطبيعة والتاريخ الذى يدرس فهم المعنى الذى جعله الناس لأفعالهم .

بينما يؤكد **جبريل مارسيل** Marcel أن الإنسان "بدن" أو "ذات متجسدة" قبل أن يكون أى شىء آخـــر والجسم الحى فى نظر مارسيل ظاهرة أساسية فى كل تفكير ثانوى أو استرجاعى، وآية ذلك أن التفكير الثـــانوى يكشف لى عن وجودى بوصفه "وجوداً متجسداً" وحين يتحدث مارسيل عن التجسد فإنه يعنى به أن المرء يدرك نفسه باعتباره جسماً وأن الجسم هو حلقة الاتصال بين الذات المفكرة والعالم الخارجى فأنا أدرك نفسى باختبارى "متجسداً فى بدن" هو نواة كل موقفى الوجودى. ومعنى ذلك أننى لا أملك أن أفصل شـــعورى بـــذاتى عـــن إحساسى بجسمى وإدراكى للعالم الخارجى. وعندما أقول عن شئ ما أنه موجود فإننى أعنى بذلك أن هذا الشىء قابـــل للاتصـــال بجســـمى والتـــأثير منـــه ســـواء أكـــان ذلـــك بطريقـــة مباشـــرة أم غـــير مباشـــرة (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٩٣) ويردد جبريل مارسيل عدداً من المعانى منها فكرة التكامل، وهى من الأفكـــار الجديدة بمزيد من الإيضاح فحين نقول عن شخص إنه متكامل فإننا نقصد الشخص المالك لنفسه تماماً ونحن نعلم كيفية فقد الذات لذاتها من تعاطى المخدرات أو الكحوليات أو أى نوع من استلاب الذات لـــذاتها، والمهـــم أن يسترد الإنسان ذاته أى امتلاكه لذاته تماماً. (عبد الرحمن بدوى،١٩٦٦، ٦٤) ويقول مارسيل إن الرفض ممكـــن دائماً والانحدار إلى هاوية اللامعقول ميسرة للجميع والاستسلام للعبث والمحال أمر سهل هين ،وانما العبرة بـــأن يحسن المرء الاختيار وأن يحاول فهم "المعنى " الذى يكمن من وراء "الواقعة الغفل" وأن يعمد إلى البحـــث عـــن القيم من خلال "الحقائق الموضوعية " وأما حين يغلق المرء عينه إغلاقاً وحينما يسد أذنه عمداً فهنالك لـــن يمثـــل أمامه إلا العدم . (زكريا إبراهيم،١٩٦٨،٥. ٢)

تكلم مارسيل عن الإنسان كذات وكبدن وقابليته للتأثير والتأثر بالعالم الخارجى ،وأن الإنسان يحاول أن يفهم المعنى الذى يكمن من وراء الواقعة ويبحث عن القيم . ويرى أن التكامل هو الذى يجعل الإنسان مالك نفسه وغير فاقد لذاته ،ولو فقد ذاته فهو يتجه نحو المخدرات والمسكرات .

ويرى موريسم ميرلو بونتى M. Merleau Ponty أن الإنسان هو الذى يضفى على حياته معناها ومستقبلها، ولكن هذا لا يعنى أن هذا المعنى وذلك المستقبل هما ليسا مجرد مفهومين متصورين، بل الواقع أنهما ينبثقان من حاضر وماضى الإنسان وبصفة خاصة من طريقته فى الجمع بين هذا الحاضر وذلك الماضى فى وحدة حيه ،بل الأكثر من ذلك أن لكل شىء معنى، ولأنه ليس علينا سوى أن نتوصل إلى وصف تلك المعانى أو الماهيات . وقد حاول ميرلو بونتى فى دراساته الفينومينولوجية الأخيرة الوصول إلى وصف ماهيات أخرى منها: باب المعرفة أو الخبرة أو الإدراك الحسى كماهيات التواصل المشاركة الحضارة التاريخ (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٥٦. -٥٤٧) فالخبرة الإدراكية هى وحدها الواقع الأصيل والمؤسس، حيث يلتقى الوجود مع المعنى والحياة والموت بشكل مباشر وواقعى وقد حاول ميرلو بونتى توضيح مشكلة (الوعى الإدراكى) فى إطار العلاقات بين الروح والجسم وضرورة وقوف الفكر الفلسفى وجها لوجه أمام الظواهر وفى ظهور المعنى من خلال الإدراك الحسى باعتباره أول علامة للمعنى فى السياق غير المكتمل للعلم (علا مصطفى،١٩٩٤،١. ٥)

ويؤكد ميرلوبونتى عند شرحه "فينومينولوجية الجسم" أنه كما أن القول يعبر عن الفكر فكذلك الجسم يعبر عن الوجود، وإذا كان الوجود بطبيعته "غير متجدد" فذلك لأنه فى صميمه مجرد عملية من شأنها أن تسمح لما لم يكن له معنى بأن يكتسب ماهية ومعنى وليس للفكر "باطن"، لأنه ليس من شأن الفكر أن يُوحد تعبيراً عن العالم أو خارجاً عن الألفاظ فالمعنى يسكن اللفظ، والفكر لابد من أن يتجسّم فى عبارات، ولما كان الجسم فى صميمه "تعبيراً" فإن لكل فعل إنسانى "معنى" وميرلو بونتى يتلاعب باللفظ الفرنسى (الذى يعنى على التوالى:الحس والمعنى والاتجاه) فيقول إن الوجود البشرى تعبير والتعبير استخراج للمعانى المؤقتة من " الا تحدد" الذى من شأنه أن يظل كذلك. (زكريا إبراهيم،١٩٦٨ ،٥٥١) ويرى ميرلوبونتى ان علينا أن ندرك أن :(المادة و الحياة و الفكر هى ثلاثة أنظمة للمعنى) والإنسان عنده "موجود فى العالم " وهو لا يعرف نفسه إلا فى داخل العالم وعبثاً أحاول أن أبحث فى صميم ذاتى عن مركز خاص تنبع منه الحقيقة "الباطنة" فإننى لن أجد سوى ذات مفتوحة قد جعلت للعالم. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٥٤٦)

تكلم ميرلو بونتى عن الخبرة التى يعيشها الفرد حيث أن الإنسان يدرك معظم أفعاله ويحاول إيجاد دلالات لها. ويمكن فهم الإنسان من خلال وجوده فى العالم الذى يضفى على حياته معنى وأن لكل شىء معنى وأن لدى الإنسان معارف لا شعورية ولكى يكتشف العالم لابد أن نكتشف هذه المعانى. ويرى أن لكل فعل إنسانى معنى.

ب) الاتجاه الفينوميبولوجى[3] (الفلسفة الظاهرياتية[4])

كانت الفينومينولوجيا الفلسفة التى ستحقق ميلاداً جديداً للعقل وتتمثل فى دراسة الظواهر التى تظهر أمام الوعى، ومن هنا كان شعار "العودة إلى الأشياء ذاتها": أى الأشياء كما تبدو فى الأصل أمام الوعى، ولم تكن الفينومينولوجيا تقصد أن تكون وصفية، تصف الوعى وأفعاله، فالعالم الذى يدرك باعتباره عالماً إنسانياً وذا معنى يتم فهمه على أنه مكون من الوعى، فالوعى موجه أساساً فى أفعاله نحو العالم ومظاهره نحو العالم وكل أفعاله تمتلك قطباً ذاتياً هو الوعى نفسه وقطباً موضوعياً هو العالم، فنجد هوسرل E Husserl[5] قد قام بدراسة ووصف ماهية الخبرة التى تقوم عليها العلوم وذلك لتوضيح كافة العلوم داخل ولا عن الخارج بل عن علاقة "التوجه نحو" فالقصد ليس علاقة بين ذات وموضوع وإنما هو طابع يميز الوجود بدءا بالمنطق، كما أبرز هوسرل مبدأ القصدية واعتبره اتجاها للوعى نحو الأشياء المقصودة ونجد أن كلامه ليس عن الوعى، وبعبارة أخرىفإن القصدية تميز أسلوب الوعى فى الوجود أو هى نحوه فى الوجود. (علا مصطفى،١٩٩٤، ٤٧-٥١)

ويهتم هوسرل فى كتابه "الأفكار" بدراسة نشاط الذهن أو حياة الوعى فقد أفرد صفحات طويلة لدراسة شتى أشكال النوتريس (أى الاتجاهات الذاتية للخبرة) لكى تحدثنا عن المعنى /العاطفة/الإرادة/والعلاقة بين الانفعالات. . . إلخ " ولا ينكر هوسرل وجود العالم فهو بالضرورة "عال" على الشعور، وأنه لا بد من أن يظل كذلك حتى فى صميم تلك البداهة اليقينية الأصلية. ولكنه يقرر فى الوقت نفسه أن هذه الحقيقة لن تغير شيئاً بالنسبة إلى الشعور :لأن أى موضوع عال لا يتكون إلا فى نطاق حياة الوعى أو الشعور بوصفه مرتبطاً ارتباطا لا انفصام له بصميم هذه الحياة ،وبالتالى فإننا حتى إذا تصورنا حياة الشعور على أنها شعور بالعالم فإن هذه الحياة مع ذلك تشتمل فى ذاتها على "وحدة المعنى" المركبة لهذا العالم وتبعاً لذلك فإن فى وسع الفنومينولوجى أن يلقى الكثير من الأضواء على معنى واقعية العالم" "وعلوه" أو "مقارنته" عن طريق توضيح آفاق الخبرة الواعية وهكذا يتحقق الفيومونولوجى من أن واقعية العالم ومفارقته لا تنفصلان قط عن "الذاتية الترنستندتيالية.

---

[3] - نشأ هذا الاتجاه - بادئ ذى بدء - على يد مايونج (A.Meinung 1853-1921) ،ثم لم يلبث أن تبلور على صورة "فلسفة ظواهر" عند هوسرل (E.Husserl 1859-1938) الذى أثر تأثيراً كبيراً فى عدد غير قليل من فلاسفة القرن العشرين ،وفى مقدمتهم دعاة الاتجاه الوجودى .ومن أشهر المعبرين عن هذه النزعة ماكس شلر M.Scheler (1874-1928)) الذى طبق المنهج الفينومولوجى على الظاهرة الأخلاقية فأدخله بذلك إلى مجال القيم . (زكريا إبراهيم ،١٩٦٨،ص١٢) كما أنه ليس من السهل أن نجد تعريفاً جامعاً مانعاً للفينومينولوجيا ولكنا قد نستطيع القول بصفة عامة إنها منهج ينحصر فى وصف الظاهرة أو وصف ما هو معطى على نحو مباشر .وقد قرر هوسرل فى المقال الذى كتبه لدائرة المعارف البريطانية أن كلمة فينومينولوجيا تشير إلى منهج جديد فى الوصف الفلسفى وهو ذلك المنهج الذى يهدف إلى إقامة نظام سيكولوجى أولى يكون بمثابة ركيزة متينة لإقامة علم نفس تجريبى من جهة ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة معيار لفحص منهجى لسائر العلوم من جهة أخرى . (زكريا إبراهيم ،١٩٦٨،ص٣٣٩)

[4] - الظاهرياتيه منهج وصفى يتعلق بالوصف لا بالتفسير ولا بالتحليل، والفيلسوف يحاول أن يفكر فى العالم، وفى الغير وفى ذاته .ويتصور شكل العلاقات بينهم والفلسفة الحقيقة هى تلك التى تعيد تعليم الناس كى يروا العالم فحكاية يمكن أن يكون لها مدلول عن العالم من العمق ما يوازى كتاباً فى الفلسفة . (بيكون،١٩٦٥، ٩٩-١٠٠)

[5] خضع لبعض المؤثرات الكانتيه وتتلمذ على يد برنتانو صاحب الفلسفة الماهية ..(زكريا إبراهيم ،١٩٦٨)

ويقرر هوسرل أن أى معنى أو أى وجود يكون جزء لا يتجزأ من الذاتية الترنستندتيالية التى تركب كل معنى وكل وجود وتحاول نحن إدراك عالم الوجود الحقيقى بوصفه شيئا قائما خارج عالم الوعى والمعرفة والبداهة الممكنة . وما دامت الذاتية الترنستندتيالية هى عالم المعنى الممكن فإن أى شيء خارج عنها لن يكون إلا مجرد "لا معنى" ولكن إلا معنى نفسه ليس إلا صورة من صور" المعنى". (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٣٥٦- ٣٥٩) كما اهتم هوسرل بدراسة ووصف ماهية الخبرة التى تقوم عليها العلوم وذلك لتوضيح كافة العلوم بدءا بالمنطق وهذه الدراسة لو تمت بشكل فعال فسوف تؤدى إلى نظرية المعرفة. وقد أبرز هوسرل مبدأ القصدية واعتبره اتجاه للوعى نحو الأشياء المقصودة ونجد أن كلامه ليس عن الداخل ولا عن الخارج بل عن علاقة "التوجه نحو" فالقصد ليس علاقة بين ذات وموضوع وإنما هو طابع يميز وجود الوعى، وبعبارة أخرىفإن القصدية تميز أسلوب الوعى فى الوجود أو هى نحوه فى الوجود إنها للحظية الماهويه التى تمثل وجوده. (علا مصطفى،١٩٩٤، ٥٠ -٥١)

وهنا نجد أن هوسرل قد أكد أن الخبرة تؤدى إلى نظرية المعرفة، وأن دراسة الاتجاهات الذاتية للخبرة تحدثنا عن كل من المعنى /العاطفة /الإرادة/العلاقة بين الانفعالات. وأن الخبرة الواعية توضح أو تلقى الضوء على واقعية العالم وعلوه وواقعيته لا تنفصل عن الذات الترستندتيالية. والمعنى أو الوجود جزء لا يتجزأ من الذاتية التريستنديالية التى هى عالم المعنى الممكن.

وقد حاول **ماكس شيلر*** M. Scheler أن أن يطبق المنهج الفينومينولوجى على الحياة الوجدانية ،كما قدم وصفاً فينومينولوجياً ممتازاً للأخلاق والقيم والدين والمحبة . . . إلخ ، ورغم شهرة شيلر فى الكتابات الأخلاقية إلا أن له دراسات عميقة فى نظرية المعرفة، ومشكلة القيم، ومكانة الإنسان فى العالم (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٣٩٣- ٣٩٤). ويرى شيلر أن تاريخ العالم هو تحقيق لإرادة العالم، وما نوابغ التاريخ إلا أدوات اتخذتها تلك القوة العالمية لتنفيذ أغراضها، وإن توهموا أنهم يحققون أغراضهم الشخصية (أحمد أمين، زكى نجيب محمود ،١٩٣٦، ٣٧٧) .

قسم شيلر المعرفة الموجودة لدى الإنسان إلى ثلاثة ضروب، معرفة استقرائية :تنصب على العالم الخارجى الذى له وجود حقيقى ،معرفة أولية : تنصب على الماهية والمعرفة بكل ما هو موجود، معرفة ميتافيزيقية : أى العلم الذى يدور حول الخلاص أو النجاة وموضوعه المشكلات التى تقع على حدود العلم (كأن يتساءل المرء: ماذا عسى أن تكون الحياة ؟)، وميتافيزيقا المطلق؛ الذى تستمد أصولها من الأنثروبولوجيا الفلسفية التى يثيرها التساؤل ماذا عسى أن يكون الإنسان؟. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٣٩٧ــ ٣٩٩).

فالشخص عند شيلر ينطوى على معانى القدرة السليمة على استخدام التفكير والنضج النفسانى وملكة الاختيار. المعرفة عنده تجمع بين معرفة تنصب على العالم الخارجى والمعرفة بكل ما هو موجود، والمعرفة الميتافزيقية

---

* من تلاميذ هوسرل وأكثرهم أصالة وأخصبهم تفكيراً والواقع أن شلر جمع فى فلسفته عدة اتجاهات فلسفية متباينة منها فلسفة الحياة على نحو ما عبر عنه نيتشه وبرجسون ودلتاى وفلسفة الروح على نحو ما عبر عنه القديس أوغسطين وبسكال، فضلا عن إعجابه سوذا وأفلاطون (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨)

عن الحياة والإنسان. العالم يتكون من أفراده الذين هم أدوات لتنفيذ أغراض العالم. ولا تفهم الأفكار والأفعال إلا بالرجوع إلى الأهداف الإنسانية.

ج) : الاتجاه الحيوى[٦] (أو فلسفة الحياة)

يحاول فلاسفة الحياة تفسير الواقع كله بوسيلة مفهوم الحياة، وعلى الرغم من وجود اختلافات قوية فيما بينهم إلا أنهم يجتمعون على أنهم كلهم فعليون، أو عملون، يتصورون الواقع على نحو عضوى، فالعالم حياة عملية فاعلة ويظهرون ميلاً للتعددية (أى القول بأن الوجود ليس واحد بل موجودات متعددة) والاتجاه الشخصانى بمعنى الاهتمام بالإنسان فى هيئة الشخص وليس بمجرد الكائن الحى فيه (بوشنبسكى، ١٩٩٢، ١٧١-١٧٢)

فنجد برجسون يجيب عن التساؤل الخاص بمعنى الحياة والوجود، "إنه بالنسبة إلى الموجود الواعى أن يوجد هو أن يتغير، وأن يتغير هو أن ينضج ، وان ينضج هو أن يخلق نفسه باستمرار" ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن الوجود بوجه عام. ويرى أن " الحياة منذ نشأتها، هى استمرار لسورة واحدة توزعت بين خطوط مختلفة للتطور تنمو وتتطور بسلسلة من الإضافات التى كانت ألواناً من الخلق وهذا النمو نفسه هو الذى أدى إلى انفصال الميول التى لم تكن تقدر على النمو بعد نقطة معلومة دون أن تصير غير متوافقة فيما بينها. ويتم تطور الحياة أو إذا إنعدم وجود فرد وجيد يمكن أن نفترض كثرة من الأفراد يتوالون فى سلسلة على خط واحد . (بنروبى، ١٩٦٧،٢٨٨- ٣٢٠).

ربط برجسون بين الجسم والظواهر النفسية من حيث إن الجسم يترجم الظواهر النفسية. كما تقاس الظواهر النفسية بما يقرن بها من الظواهر الجسمية التى تصاحبها. وذهب إلى أن الحياة النفسية جذورها من الباطن والحاضر والمستقبل، كما لابد وأن تحدد بالكم والشدة. و العقل والحواس ليسا وحدهما الأداة الواحدة الصالحة لإدراك الحياة، أى أنه ليس بالعقل وحده يدرك الإنسان الحياة ومعانيها. كما أن - التاريخ الشخصى مهم جداً فى تطور الحياة .

وقد حاول **جول لاشليه** Lachelier أن يضفى على مذهبه الروحى طابعاً إرادى النزعة والى مذهبه الإرادى طابعاً روحياً، ويقول نحن أحرار لأننا ذات (أنا) والإحساس يمكن أن يوصف بأنه حر بمعنى أنه لا يستمد طبيعته إلا من ذاته، وبالأحرى فالإرادة حرة. فعناصر الشعور لا تتوالى من الإدراك إلى الإرادة بل العكس من الإرادة إلى الإدراك . ويرى أيضاً أننا يجب أن نبحث عن الله فى أنفسنا فالحياة الدينية فى نظره هى الصورة العليا للحياة الروحية . (بنروبى ،١٩٦٧،٤٦-٥٥)

---

[٦] ويعبر عن هذا الاتجاه هنرى برجسون (H.Bergson (1858-1941 الذى تتلمذ على يدى كل من لاشليه lachelier وبوترو Boutrowx ثم إدوار ليروا Le Roy الذى يعد خير معبر عن الروح البرجسونية فى فرنسا (وان كان قد تزعم حركة "المودرنزم المشهورة فى مضمار الدراسات المسيحية الكاثوليكية) . ومن الممكن ان تدخل فى عداد فلسفات الحياة مذاهب متعددة فى المانيا مثل مذهب دلتاى (Dilthey (1833-1911 واشبنجلر (Spengler (1880-1936 وكلاجس Clages وغيرهم .واما فى البلاد الانجلوساكسونية فى الفلسفة البرجماتية Pragmatisme التى دعا اليها كل من بيرس ووليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠) قد ظلت حية على يد جون ديوى(Dewey(1589-1952 وتلاميذه فى أمريكا .).(زكريا إبراهيم، ١٩٦٨ ص ١١) .

ونجد جول لا شليه يؤكد على أهمية الإرادة والتى يصفها بأنها حرة، وأن عناصر الشعور تتوالى من الإرادة إلى الإدراك. وأن العالم يخضع لمبدأ القائمة وهذا ليس من وضع الفكر الإنسانى لأنه غائى أيضا نحو الخير.

واعتبر دلتاى Dilthey أن الحياة الموضوع الوحيد للفلسفة وكفيلسوف تجريبى رفض أى معنى للتعال: فلا يوجد أى شيء يتجاوز الحياة ولا يوجد شيء فى ذاته كما لا يوجد أى مطلق ميتافزيقى أو فردوس أفلاطونى. وبالتالى لا يمكن معرفة الحياة إلا من الداخل، لأنه لا وجود لبداية مطلقة للفكر أو لهيكل من المعايير المطلقة خارج الخبرة. ويرى أن ما نعيشه ونختبره بالفعل هى الحياة نفسها فى غناها وتنوعها ولا يعنى بالنسبة لدلتاى أن ما نعيشه ونختبره بالفعل هى الحياة نفسها فى غناها وتنوعها وهذا لا يعنى بالنسبة له النظر إلى الأفراد وحدهم وإنما الهدف هو الوصول إلى نظرة شاملة للواقع. ومن هنا يبدأ من المعانى التى يضفيها البشر على عالمهم. ويصبح جزءاً من الحياة ومتأثر بظروف عصره، ويصبح مصدر قوة فيستطيع التوصل إلى المعنى عن طريق خبرته الخاصة. فهو يدرك عمل عقله وكيف تولد الأفكار إحساسات ثم كيف تتحول الاحساسات إلى ميول. فالفيلسوف مثل غيره من البشر يستخدم نفس المبادئ من أجل تنظيم خبرته الخاصة ،ويسميها دلتاى مقولات الحياة. ويعتبر تحليل هذه المقولات حجر الزاوية فى فلسفته. وقد كان دلتاى أول من أثار موضوع الفهم الذاتى بطريقة واعية وفى سياق اجتماعى لم يكن قد اتضح تماما بعد ولم يكن يسع دلتاى كشاعر إلا أن يرى الفرد بخبرته وشعوره وفهمه كممثل للواقع الإنسانى. ويتضمن الفهم الذاتى فى رأيه عناصر عدة منها المشاركة الوجدانية والتعاطف ثم عملية استعادة الخبرة وإعادة بناء الحياة. (علا مصطفى،١٩٩٤، ٢٦-٢٧)

وهنا يؤكد دلتاى أن المعانى التى يضفيها البشر على عالمهم تصبح جزءاً من الحياة، وأن الإنسان يتوصل إلى المعانى عن طريق خبرته الخاصة من خلال إدراكه لكيفية إعمال عقله وكيفية توليد الأفكار لإحساسات، وكيف تتحول هذه الإحساسات إلى ميول . ويتم الفهم الذاتى بطريقة واعية من خلال عدة عناصر منها:المشاركة الوجدانية، التعاطف وعملية استعادة الخبرة وإعادة بناء الحياة.

ويرفض ووليم جيمس الغموض والمذاهب المثالية ولكنه هو نفسه صاحب فكر مثالى جرىء وإنسانى، اعتاد دائما البحث عن المعانى العميقة للخبرة ومع هذا كان ينكر أن الخبرة لها أى معنى آخر أبعد منها أو أن هناك أى خبرة نهائية وأخيرة، وقد أزدرى فكرة التقدم الضرورى ولكنه صاغ فلسفة حجر الزاوية فيها الاعتقاد بأن إرادة الإنسان ورغبته يمكنهما خلق مستقبل قادر على أن يحقق إشباعاً أكثر من الماضى والحاضر. (دافيد مارسيل، ١٩٧٨، ١. ٣)

ويناقش وليم جيمس عدة مفاهيم وقضايا ومعانى فى فلسفته ومنها: إرادة الاعتقاد – الشر – الحرية – التغير – الصيرورة – الجدة. فإرادة الاعتقاد تعبر عن قدرة الإرادة الإنسانية على الفصل فى الكثير من المسائل الأخلاقية والدينية بالرجوع إلى التجربة نفسها حيث يستحيل العقل أن يقدم الأدلة النظرية ما يكفى للفصل فى تلك المسائل. والحرية عنده بمثابة صورة الجدة أو الأصالة (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٢-٤٨)

يتضح مما سبق أنه يمكن للإنسان أن يخلق مستقبلاً قادراً على تحقيق الإشباع أكثر من الماضى والحاضر بإرادته ورغبته. كما يرى أن بالعقل وحده لا يستطيع الإنسان تقديم الأدلة النظرية للمسائل الأخلاقية والدينية إذ يلزمها إرادة الاعتقاد التى تعبر عن قدرة الإرادة الإنسانية . ويشير إلى أن المخاطرة المستمرة (وهى فى داخلها إرادة) ليكسب الحياة معنى ومذاقاً

ويرى جون ديوى Dewey أن الخبرة مرشداً لنا فى العلم وفى الحياة الأخلاقية والى بيان طريقة ذلك، تؤدى الخبرة فى النهاية إلى تكوين بصيرة معينة عامة وقدره معينة منظمة فى العمل. وتشمل الخبرة ذاتها العملية التى توجه بها نفسها فى سبيل تحسينها وترقيتها فنحن نستغل خبراتنا السابقة لننشىء بها فى المستقبل خبرات جديدة. ومادة الخبرة الحقة ليست غير أفعال وعادات ووظائف نشطة فعاله وارتباطات بين الفعل والمعاناة وتنسيقات حسية حركية فالخبرة تحمل فى ذاتها مبادئ الربط والتنظيم اللازمة (جون ديوى، ١٩١٩، ١٥٨-١٨٠). وذهب ديوى إلى أن أفكار الفرد وتصرفاته جزء أصيل من عملية دينامية اجتماعية تاريخية معاً وأن الفلسفة لهذا السبب تعد نشاطاً اجتماعيا وأن عقول البشر تعمل على نحو فردى وجماعى على تحسين علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والاجتماعية. (دافيد مارسيل، ١٩٧٨، ١٤٤) وأن كل شئ فى حياة الإنسان قابل للتغير إذا دعت الضرورة إلى تغييره (ذكى نجيب محمود، بدون، ١٩٨)

وهنا يؤكد ديوى على أن كل شئ فى حياة الإنسان قابل للتغير إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وأن الحرية والمساواة مرهونة بالتعاون مع الآخر. كما أن عقول البشر تعمل على نحو فردى وجماعى لتحسين الإنسان لبيئته.

د) : الفكر الفلسفى للأديان

د/١ معنى الحياة فى الفكر الفلسفى الإسلامى

يرى الفارابى أن العلاقة مع الآخر جزء من العلاقة مع النفس ومع الله الآخر المطلق لذلك ميز بين خمس علاقات مع الآخر ابتداء من معرفة الخالق ونهاية بمعرفة النفس وتوسيطاً بالعلاقة بين الرئيس والند والمرؤوس وهو سيبدو عزيزا بالنسبة للفلسفة الإشراقية التى تبدأ بمعرفة النفس ثم معرفة الله. (حسن حنفى،٢. . ٢، ٢٧٤). ويرى الغزالى أن المحك الأخير للمعرفة هو وضوح المعانى وبداهتها. وفى إثباته روحانية النفس يقول أن النفس تدرك المعقولات أى المعانى الكلية المجردة عن كل طابع حسى. (محمود قاسم ،٩٦،١٩٤٩) ويشير الكندى أن النفس الإنسانية المحبوسة فى سجن البدن المادى تعانى آلام الغربة وتترع دائما إلى العودة إلى أصلها الإلهى ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالتأمل والزهد ومقاومة الشهوات الجسدية الحسية، والارتفاع إلى عالم الروح حيث

تتمتع النفس بالسعادة الروحية (عبده فراج،١٩٦٩ ،٨٦) وهدف الكندى هو السعادة فى عالمنا هذا وفى العالم الآخروى العالم الباقى عالم الخلود (عبد الحليم محمود،١٩٨٩،٢٣٤)

والفلسفة عند إبن باجه هى النظر العقلى الذى يمكن الإنسان من إدراك وجوده الحقيقى ويهيئ له أسباب تدبير حياته تدبيراً حكيماً، على حين أنها عند الغزالى معرفة يقذفها الله فى قلب الإنسان حتى ينعم بالبهجة والسعادة . كما أن مفهومه عن الدولة الفاضلة كان وسيلة لإصلاح العادات والأخلاق لتحقيق الوجود الإنسانى على أكمل صورة فى كل فرد. كما يتكلم ابن رشد عن القوة الناطقة فيبرهن على وجود القوة الناطقة بتأمل أنواع الإدراك فالإدراك فى نظره نوعان : أحدهما شخصى والآخر كلى أما الإدراك الكلى فهو إدراك المعنى مجرداً من الهيولى ويسميها قوة النطق أو العقل، ويرى أن الإنسان محتاج إلى قوة أخرى غير القوى الحسية وهى القوة التى يدرك بها المعانى المجردة من الهيولى، فيركب بعضها إلى بعض ويستنبط بعضها من بعض حتى يلتئم من ذلك صنائع كثيرة ومهن هى نافعة فى وجوده، وذلك إما من جهة الاضطرار فيه وأمام جهة الأفضل. ومعنى ذلك أن القوة الناطقة لم توجد فى الإنسان من أجل سلامته فقط بل وجدت فيه من أجل وجوده الأفضل . (جميل صليبا، ١٩٧١، ٣٥١-٤٩٤) والمراد بالمعانى عنده ما لا يستدعى وجوده جسماً ولكن قد يعرض له أن يكون فى جسم كالعداوة والموافقة فإن الشاه تدرك من الذئب لونه وشكله وهيأته وذلك لا يكون إلا فى جسم. (إبن رشد، ١٩٩٩، ٨١٤) ويرى أن العقل العملى هو الذى يدرك المعانى المتعلقة بالعمل أو المعانى التى تحصل فيها بالتجربة والتجربة تكون بالحس أولاً وبالتخيل ثانياً. (جميل صليبا، ١٩٧٥ ،٤٩٥). والإنسان موجود أخلاقى عند مسكويه فهو الموجود الوحيد الأخلاقى حيث أن مراتب الوجود تتفاوت بين مرتبتين طبقاً للثنائية المتطهرة والتصور المثالى للعالم:البهيمية والإنسانية فالإنسان هو الوحيد الموجود الأخلاقى الحر كما هو الحال عند كانت وفتشيه. (حسن حنفى ، ٢. . ٢، ١٣١-١٣٢)

ف/٢ معنى الحياة فى الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط

ومن أشهرفلاسفته الفيلسوف أغسطين والفيلسوف توما الأكوينى. وهما يعتبران ان المسيحية هى الفلسفة الحقه وهى التى توصل إلى الحكمة والسعادة. وهى التى تجعل للحياة معنى وهدفاً. ويرى أوغسطين أن الثقافة الحقيقية هى التى تدرك الوحدة بين العلوم وتسمو بنا إلى الخالق، إلا أن الثقافة تبقى عقيمة ما لم تنضم إليها الإرادة الأخلاقية، والعقيدة الدينية (محمد غبريال، ١٩٥٩، ٢٢٦) وتأثر أوغسطين بالأفكار الأفلاطونية الجديدة وكانت المسيحية فى نظره الفلسفة الحقة والسعادة عنده هى الاستمتاع بالحقيقة والحكمة التى توصلنا إلى الحقيقة والإيمان هو الذى يمدنا بالأساس الذى يبدأ منه طلب الحكمة. ويرى أن الكلمة هى طريق العودة أمام الإنسان إلى الكلمة التى هى حق وهى الطريق قدماً إلى المسيح المرفوع إلى السماء الذى هو الحياة. وكانت من تعاليم أوغسطين فى الرحمة الإلهية ولا سبيل إلى تبرير الحرية الإنسانية إلا إذا سلمنا تسليماً غير مشروط بأنها مستمدة من الحرية الإلهية (فؤاد كامل وآخرون، ١٩٦٣، ٧٤-٧٦). ويسوى توماس الأكوينى بين النفس والعقل فيقول:

إن جوهر النفس الإنسانية عقل محض يتصل بالبدن ويتخذه آلة له فى الوصول إلى المعرفة فليست النفس إذن مجرد صور كباقى الصور. (محمود قاسم، ١٩٤٩، ص١٧٨) وقد توافق السبب بين القديس توما الأكوينى وفلاسفة المسلمين فى اللقاء الفكرى لأن كليهما يغلب عليه طابع الطهارة العقلية، فالطهارة عاطفة دينية تنشأ من تصور وجود الله أو ينشأ تصور وجود الله عنها كعلة أولى للموجودات وكفاية قصوى للعالم وكملجأ يلذ به ضد الفناء ويحيل العالم إلى معبد والتفكير إلى قداسة فينشأ عالم فكرى طاهر. (حسن حنفى، ١٩٧٨، ٣٢٠ – ٢٣٥)

د/٣ الدين اليهودى

يرى المؤرخ أن التوراة وهى الأسفار الخمسة الأولى فى العهد القديم وهى: التكوين – الخروج – اللاويين (الأحبار) – العدد – التثنية، كتبت فى أزمنة متفاوتة لذا يجب أن تتوخى التزام الحيطة العلمية فى الاستدلال على الأحداث التاريخية المدونة فيها. (رشيد الناضورى، ١٩٦٩، ١٦٩) ومحتوى التوراة ليس فقط دينياً أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كل هذه مجتمعة، إنها شئ أكبر جداً من هذا عند بنى اسرائيل إنها حياتهم ودنياهم فى الماضى والحاضر والمستقبل والتوراة فى الفكر الإسرائيلى، وهىأسمى فكرة وأنها الروح الحية للدنيا، ودراسة التوراة أهم عند بنى إسرائيل من بناء معبد والإلمام بها يضع صاحبه فى مكانة أسمى من الكهنة ومن الملوك ودراستها تضمن لنفسه النجاح. (احمد شلبى،١٩٦٦،٢٤٢) وكانت اليهودية عند موسى شريعة أكثر منه عقيدة ،والشريعة هى القانون الإلهى الذى تمت صياغته فى قانون إنسانى . ويرى سبينوزا أن كل ما يصبو إليه الإنسان لا يتعدى ثلاثة أشياء: معرفة الأشياء بعللها الأولى، السيطرة على انفعالات النفس للتحقق بالفضيلة، ثم العيش فى سلام مع جسم سليم . والوسائل للحصول على الغايتين الأولى والثانية موجودة فى الطبيعة الإنسانية، ومن ثم فهى لا تقتصر على أمة دون غيرها أما الغاية الثالثة فهى تعتمد على الأشياء الخارجية كما تعتمد على الرزق والحظ الذى يجهله الجميع لذلك اعتمد الناس على تنظيم حياتهم وتعودوا على اليقظة. (سبينوزا، بدون، ٥٤– ٥٧) والإنسان كما يراه سبينوزا يتكون من جوهرين يمثلان شيئاً واحداً فالجسم والنفس يمثلان عنده شيئاً واحداً وعملية واحدة نراها من الداخل فكراً ومن الخارج حركة فالأمر إذن يدور حول وجود واحد نراه من الداخل عقلاً ومن الخارج مادة، وكل كائن يسعى لتأكيد وجوده وهذا أمر يتلاءم مع طبيعة الإنسان مثل أى كائن يصطدم بالصيرورة أثناء سعيه بغيره من الكائنات الآخرى يؤثر فيهم وتؤثر فيه (محمود زقزوق، ١٩٩٣، ١١٧).

وتلخص لنا الأشكال التوضيحية أرقام ٢/١، ٢/٢، ٢/٣، ٢/٤، ٢/٥) مدى استفادةعلم النفس من فلسفات: الوجودية، الظاهرتية، وفلسفة الحياة ومن الفكرالفلسفى للأديان

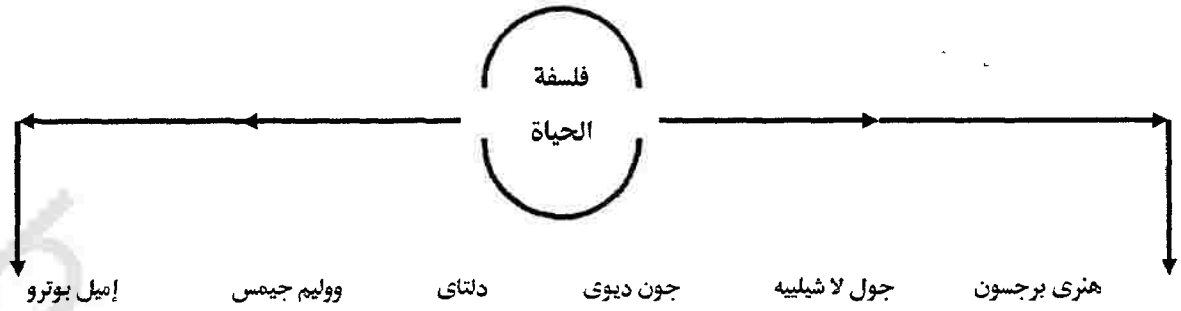

المعانى التى يكونها الإنسان لابد وأن يكون لها جهاز داخلى أيضاً لتكوين وإدراك المعانى للأفراد - عند دراسة الإنسان والمعانى التى يتبناها، لابد من دراسة تاريخه الشخصى لأنه يؤثر فيه -معنى الحياة وقيمتها نابع من عقل الإنسان وإرادته وقدراته- لابد من الاهتمام بالكيف إضافة إلى الاهتمام بالكم عند دراسة معنى الحياة- معانى الحياة جزء لا يتجزأ من عالم البشر- الخبرة مهمة جداً فى تكوين المعانى - لكى يحقق الإنسان أهدافه لابد وأن يهتم بالماضى والحاضر إلى جانب رغبته وإرادته فتحقيق الأهداف يلزم لها أيضاً إرادة ورغبة الإنسان- المخاطرة تكسب للحياة معنى- معانى الحياة قابله للتغير. الآخر مهم جداً فى حياة الإنسان فالإنسان يفكر وينمو بشكل فردى وجماعى.

شكل رقم (٢/١) معنى الحياة عند فلاسفة الحياة

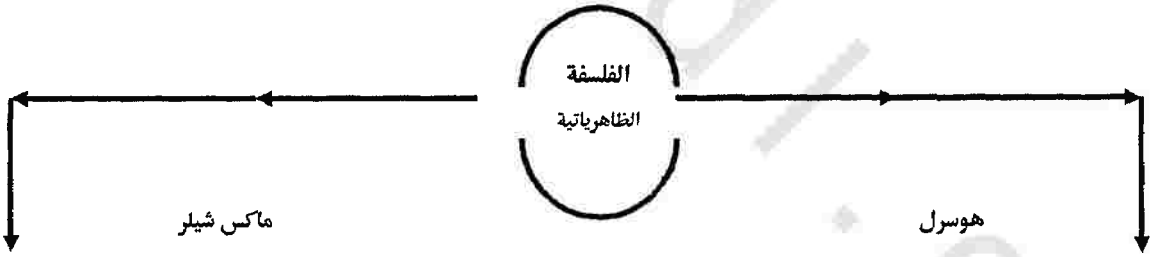

- يدرك العالم باعتباره عالماً إنسانياً وذا معنى يتم فهمه على أنه مكون من الوعى - الوعى طابع قصدى والمهم هو الكشف عن الطريقة التى يصطفيها الذهن فى تركيبه للمعانى أو الدلالات - شكل العلاقة بين العالم والغير والذات من أساس فهم الدلالات والمعانى . من المهم دراسة الظواهر كما تبدى ثم ردها إلى الوجود عن طريق فكرة القصدية .عند دراسة معنى الحياة ،لابد وأن نعطى أهمية للخبرة التى يعيشها ويكونها الأفراد لأن لها دوراً مهماً فى تكوين المعنى والإرادة .

شكل رقم (٢/٢) معنى الحياة فىالفلسفة الظاهرياتية

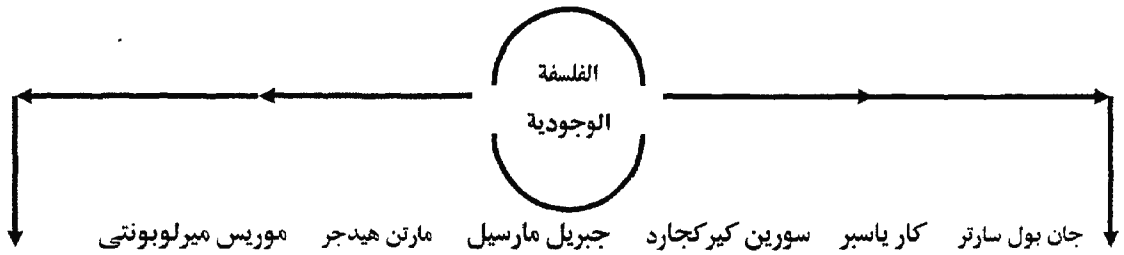

يدرس الإنسان ككل متكامل له حاضر وماضٍ ومستقبل يتأثر به ويؤثر فيه – وحيث هو موجود فى العالم وموجود مع آخرين يتأثر ويؤثر فيهم – الإنسان هو الذى يضفى على حياته معناها ومستقبلها – الإنسان كيان له قيمة كائن عاقل متمتع بإرادة حرة ،يبحث عن معنى كماله ،وهو مسئول عنه و عن اختياره الذى يرجع إلى معان إنسانية مشتركة بين البشر– هناك معانٍ كثيرة لدى الإنسان منها: الحرية – المسئولية – الاختيار – الإرادة – العلو – التكامل – الآخر – العالم – تحقيق الإمكانات – والحقيقة أن يجد الإنسان الفكرة التى يحيا من أجلها .وأن القلق يُظهر الإمكانات – تأكيد أن الخبرة المعاشة والخبرة التى يعيشها الإنسان يدرك معظم أفعاله ويحاول إيجاد دلالات لها – يمكن فهم الإنسان من خلال وجوده فى العالم الذى يضفى على حياته معنى وأن لكل شىء معنى وأن لدى الإنسان معارف لا شعورية، ولكى يكتشف العالم لابد أن نكتشف هذه المعانى – الإنسان نتاج الطبيعة والتاريخ والذى يدرس فهم المعنى الذى جعله الناس لأفعالهم – الإنسان ذات وبدن وله قابليته للتأثير والتأثر بالعالم الخارجى ،فهو يحاول أن يفهم المعنى الذى يكمن من وراء الواقعة ويبحث عن القيم . فالتكامل هو الذى يجعل الإنسان مالك نفسه وغير فاقد لذاته ،ولو فقد ذاته فهو يتجه نحو المخدرات والمسكرات .

شكل رقم (٣/٢) معنى الحياة عند فلاسفة الوجودية

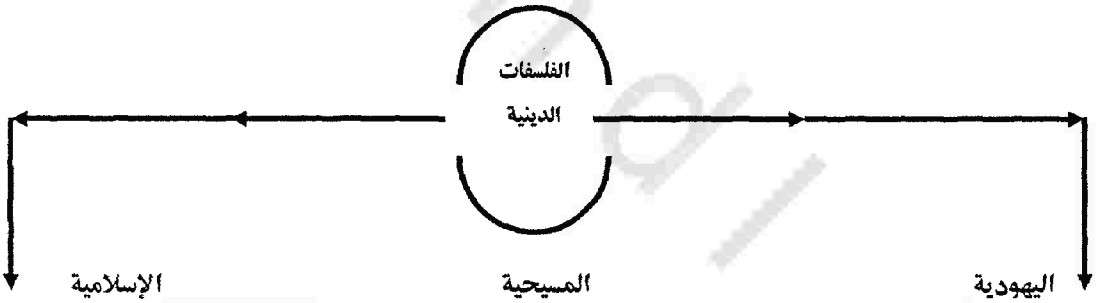

معانى الحياة ترتبط بفهم الإنسان لنفسه – يفهم الإنسان نفسه من خلال مجموعة العلاقات وهى جزء لا يتجزأ منه :فالنفس الإنسانية مجموعة من العلاقات مع النفس ومع الله،و مع الآخر، ومع التاريخ ،ومع الرئيس والمرؤوس ...الخ – بالإرادة وبالإدراك يصل الفرد لمعنى وجوده والإدراك نوعان : شخصى وكلى والإدراك الكلى هو إدراك المعانى من أجل وجود أفضل للإنسان – العمليات العقلية المعرفية مهمة فى توليد الأفكار والحرية – الإنسان يسعى لتحقيق أهداف يصطنعها لنفسه ،ويضع الوسائل المناسبة له لتحقيقها منها ما هو موجود فى الطبيعة الإنسانية.

شكل رقم (٤/٢) معنى الحياة فى الفكر الفلسفى الدينى

مدى استفادة علم النفس من إسهامات الفلسفات :

الوجودية – الظاهرتية – الحياة – الأديان فى موضوع معنى الحياة

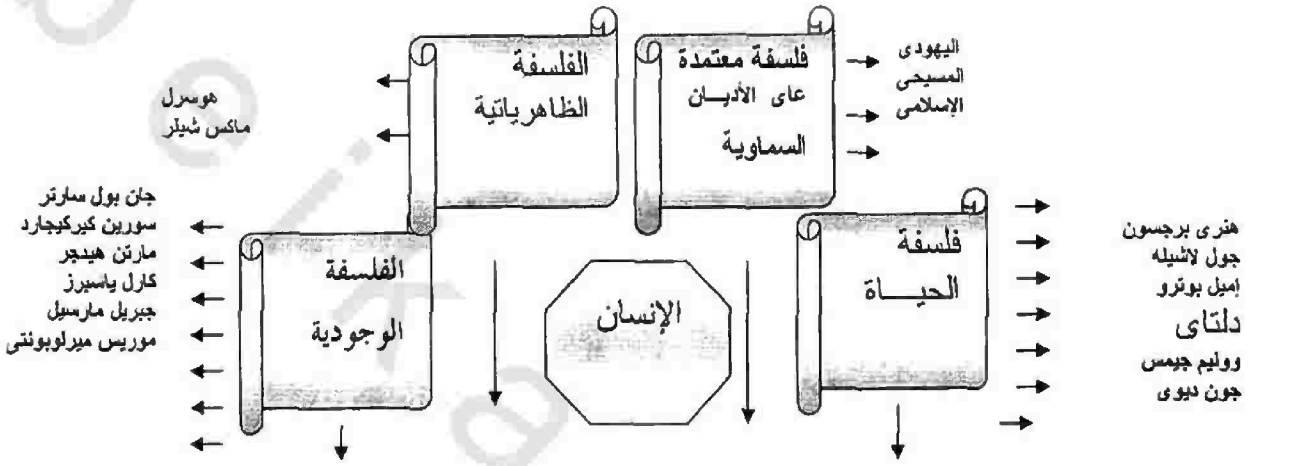

- لمعرفة معنى الحياة لدى الإنسان يجب أن ندرس حاضرة وماضية ومستقبله.
- الوعى له دور هام فى تكوين المعانى.
- المعانى تصبح جزء لا يتجزأ من أهداف الإنسان.
- وتتوقف أهداف الإنسان على أفكاره وتترجمه أفعاله.
- مهم جداً فهم الإنسانى لذاته لتكوين المعانى.
- الآخر مهم جداً فى حياة الإنسان ومعانى حياته.

شكل رقم (٥/٢) معنى الحياة فى الفلسفات

ثانيا :اسهامات علم الاجتماع فى موضوع معنى الحياة

لا يعيش الإنسان بمفرده ولا بمعزل عن المجتمع، لذلك فلابد أن يكون هناك علاقة بين تبنى الإنسان لمعانٍ فى حياته وبين مجتمعه وثقافته. لذلك لابد من الاستفادة من علم الاجتماع كأحد فروع العلوم الاجتماعية فى هذا الموضوع ويتناول من عدة زوايا:العلاقة بين الفرد و المجتمع، المعايير وتأثيرها وفقدانها والشعور بالاغتراب، وتماسك الجماعة الداخلى والخارجى، والتكامل والتضامن والتماسك وعلاقته بالإنتحار، وتكوين الخبرات وتنظيم الخبرة الإنسانية، تكوين الخبرات وعلاقتها بشخصية الفرد، المعتقدات والثقافة، المعنى والمجتمع.

أ) الفرد والمجتمع :

علاقة الفرد بالمجتمع علاقة تبادلية فالفرد يرتبط بالمجتمع ويتعلم فى خضمه القيم والمثل والمعانى، فى حين أن المجتمع لا يمكن أن يكون مجتمعاً إلا بأفراده. فيمثل المجتمع بالنسبة للفرد غاية سامية بالنسبة للمشاعر الفردية وهو أيضاً قوة معنوية، وصانع وناقل للحضارة للأفراد. ويرى دور كايم[٢] أن المجتمع مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمشاعر المتنوعة مما ينجم فعلاً عن الأفراد. (إميل دور كايم ،١٩٦٦، ٩٤-١. ١) وأن المجتمع يقوم على الخلق والقيم والمثل العليا حيث أن تلك القيم والمثل هى الأسس الوجودية التى يستند إليها المجتمع لتحقيق وجوده فيبلغ بفضلها أوج تطوره وتقدمه . هذا وقد ألقى دوركايم الضوء على مسالة الواجب والإرادة والقيم تلك التى يدرسها علم الإجتماع على أنها ظواهر اجتماعية. (قبارى محد إسماعيل، ١٩٧٦، ٢٩٧-٢٩٨)

ب) المعايير وفقدان المعايير:

المعايير فى جملتها تمثل جزءا أساسياً من ثقافة المجتمع وتحدد أهدافه وتعبر عما يرجو الناس تحقيقه وتوجه سلوك الأفراد إذ يكتسبونها من الحياة الاجتماعية عن طريق التربية المقصودة أو غير المقصودة. وليس من الضرورى أن ينجح جميع الأفراد فى تحقيق المعايير الاجتماعية بدرجة كاملة، ومع ذلك تظل المعايير هدفاً لكل فرد يتجه إليها بقدر ما يحمله من فهم لهذه المعايير وتقدير لها فى ضوء ما اكتسب من ثقافة. لذلك كان الترابط الاجتماعى عاملاً من عوامل الوحدة فى المجتمع ، ويتحدد الوضع الاجتماعى للأفراد على أساس المعايير الاجتماعية والتى تكونت نتيجة لظروف المجتمع وثقافته وتطوره لذلك فتختلف المعايير من مجتمع إلى آخر وتنشأ من طبيعة ظروف المجتمع وثقافته وأهدافه وهى نوعان :نوع يعم المجتمع كله ونوع يختص به كل طائفة أو جماعة داخل المجتمع نفسه. (عبد المجيد عبد الرحيم ،١٩٦٨،١٧٤) وفقدان المعاير حالة مرضية يصاب بها المجتمع نتيجة لفقدان تأثير نظامه الثقافى على تفاعل الأعضاء وسلوكهم وتوقعاتهم نحو بعضهم البعض . ويفسر

---

[٢] أميل دور كايم Emile dur Kheim زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ومشئ علم الاجتماع الحديث وأحد دعائم الحركة العلمية بصفة عامة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .ولد فى أسرة يهودية فى فرنسا سنة ١٨٥٨ وتوفى سنة ١٩١٧ (ريدان عبد الباقى ،١٩٧٦)

بارسونز[1] من خلال منظوره الوظيفى عن العقل الاجتماعى متعلق بالحالة الحاضرة أو الراهنة للفعل الإنسانى الفردى ومكوناته الاساسية (الفرد /الموقف/التوجيه للموقف. وفى حالة عدم وجود ضبط معرفى كاف من النظام الثقافى للنظام الاجتماعى، فيصبح فى حالة انعدام القيمة والتأثير كنظام اجتماعى على أعضائه وهذه الحالة الناتجة عن نقص الضبط المعرفى للنظام الثقافى واختفاء تأثيرها على النظام الاجتماعى أطلق عليها دور كايم فقدان المعايير Anomie، . والذى ينتج عنها الإنحراف لغياب الضبط الاجتماعى الذى يحدد معايير السلوك المتفق عليها ونفترض هذه النظرية أيضاً أن المنحرفين يكونوا منعزلين وغير منتمين فى معظم الأحوال. ويشعر الفرد بالإغتراب الذى يشعر فيه الفرد بأنه غريب عن نفسه وعن الآخرين وعن بيئته التى يعمل فيها فالإغتراب عبارة عن إحساس الفرد أو شعوره بأنه غريب عن نفسه وعن الآخرين وعن بيئته التى يعمل فيها (محمد عوض عبد السلام ،١٩٨٦، ٨٦-١١٧) ويصف بارسونز أن هذا التوجيه المعيارى الجوهرى لرد الفعل يوجه الانتباه إلى الدور المتعارض "للنماذج" التى تحدد الاتجاه المرغوب فى شكل الأهداف والمستويات للسلوك. . (عبد المجيد عبد الرحيم ،١٩٦٨،ص٤٢)

ج) تماسك الجماعة الداخلى:

يتناول الفارابى مفهوم تماسك الجماعة ويعرض للأسس النفسية الاجتماعية التى يستند إليها هذا التماسك فى أن: الارتباط يتشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك فى اللغة واللسان ،والارتباط هو الاشتراك فى المنزل ومن أسس التماسك بين أعضائها :طول التلاقى – الاشتراك فى طعام – الاشتراك فى لذة ما – الاشتراك فى السفر. (مصطفى سويف ،بدون،ص١٣٥)تنقسم الجماعات بالنسبة لتماسكها الداخلى **internal cohesion** إلى نوعين:جماعة داخلية وجماعة خارجية فكلما ازدادت العلاقات الموجبه تدور فى المحيط الداخلى للجماعة ازداد التماسك الداخلى، للجماعة، وكلما تشتتت هذه العلاقات واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلى. وكلما كثرت العلاقات الموجبة التى تصدر من أفراد الجماعة الخارجية وتتجه صوب أفراد الجماعة الداخلية إزدات سعة هذا التماسك.

وهناك ثلاث من العلاقات الموجبة التى تؤثر تأثيراً مباشراً فى تماسك الجماعة داخلية-داخلية، داخلية خارجية، خارجية داخلية (فؤاد البهى السيد ،١٩٨١، ٢٨٩) ويرى أنه كلما زادت درجة التضامن والتماسك فى المجتمع قلت حدة الانتحار ،وكلما ازدادت حدة النزعات الفردية فى المجتمع إزداد الميل الانتحارى . حيث لا تستطيع شخصية الإنسان الفرد أن تنسجم مع مواقف وظروف البناء الاجتماعى كما لا تتمكن فى نفس الوقت من التكيف مع مقتضيات البناء أو أن ترتقى إلى فهم الشخصية الجمعية . (قبارى محمد إسماعيل،

---

[1] تالكسون بارسونز Talcott Parsons أحد رواد علماء الاجتماع الأمريكى المعاصرين له دور فعال فى إنماء وتطوير المدرسة البنائية الوظيفية حيث أحدث مكانها الطبيعى والشرعى بين مدارس التفكير الآخرى فى ميدان علم الاجتماع الحديث وقد اختلفت وجهات النظر حوله فيرى عدد من علماء الاجتماع أنه يعتبر المؤسس لهذه الوظيفية التقليدية للتفكير بصورتها الرسمية فى مجال علم الاجتماع بينما يرى عدد آخر أن روبرت ميرتون Robertn Merton وهو المؤسس لهذا المذهب البنائى الوظيفى .ولد عام ١٩٠٢ ومن أهم بناء العقل ١٩٥١،نحو نظرية عامة فى العمل مع إدوارد بيلز سنة ١٩٥١،مقالات فى النظرية السيولولوجية سنة١٩٥٤ ،النظرية والمجتمع الحديث سنة ١٩٦٧ ، الأنظمة الاجتماعية وتطور نظرية سنة ١٩٧٧ (محمد عوض عبد السلام ،١٩٨٦،ص١١،١٠)

١٩٧٦،١١١). وقد درس دور كاييم الانتحار وعكست أهمية دراسة التفكك الاجتماعى وتناقض عمليات التضامن أو التكامل الاجتماعى والخلل بالقواعد المعيارية أو العلاقات التى تربط الفرد بالجماعة (عبد الله عبد الرحمن ،١٩٨٨، ٩٩-١١١).

د) التعاون والصراع :

التعاون يكاد يكون سمة الحياة المجتمعية اليومية فهو السمة الغالبة على عمليات التفاعل الاجتماعى ولا يستثنى منه سوى الصراع عندما يأخذ شكلا جماعياً تدميريا ودمويا لأنه حتى الصراع فى معظم أشكاله وصوره المؤثرة لا يكاد يكون فردياً لأن المجتمع قادر على احتوائه قبل أن يهدد وجود الجماعة وكيانها والصراع عندما يأخذ شكل جماعياً يكون صراعاً مرغوباً فيه، لتحقيق أهداف متفق عليها كالصراع ضد الاستعمار وضد الاستغلال لتحقيق أهداف مشروعة. فالصراع ليس شراً على طول الخط، فمن الصراع ما هو ضرورى لاستمرار الحياة ومنه ما هو ضرورى لتعديل مسارها، ومنه كذلك ما هو ضرورى للحياة نفسها(صلاح مصطفى الفوال،١٩٨٢ ،١. ٥،١. ٦)

هـ) تنظيم الخبرة الإنسانية :

من متطلبات دراسة المستقبل استيعاب الماضى استيعاباً يقوم على نظرة متعمقة للمعتقدات والممارسات السلوكية التى حدثت فى الماضى هذا فضلاً عن الفهم الدقيق المتكامل لكل أبعاد الحاضر ولقد برزت العديد من الأدوات التصويرية المعاصرة فى إطار علم الاجتماع ومفاهيمه لتحقيق هذين الهدفين ومن هذه الأدوات الرؤية التاريخية والآخر فى التعاون الداخلى بين العلوم . ويفيد المفهوم الأول إفادة محققة من فكرة الخيال السوسيولوجى، sociological imaginatior التى طورها رايت ميلز Wrigt Mills وهذه الأداة تستلهم أحداث الماضى فى فهم الحاضر والتنبؤ باحتمالات المستقبل ومن ثم فهى رؤية دينامية وليست جامدة محكومة فقط بتفاصيل الأحداث الفريدة التى مضت وانقضت(محمد على محمد،وآخرون ،١٨٥،١٦٥)

و) تكوين الخبرات وشخصية الفرد:

ويتأثر الفرد فى تكوين قيمه الشخصية الأساسية بنوعين من الخبرات فيقول فى هذا الصدد إيمورى بوجارديز Bogardus إن الاتجاهات النفسية والقيم الاجتماعية تتكون نتيجة للخبرات الشخصية :والخبرة الشخصية هى ما يحدث لإنسان فى موقف مضافاً إلى ذلك ما يستثيره الحادث فى نفسه من استجابات ومن ردود أفعال والشىء المهم فى التجربة الشخصية هو المعنى الذى يصبغه الإنسان عليها ونوع رد الفعل وما هى التطورات التى حدثت فى نفس الشخص وفكره وسلوكه نتيجة لرد الفعل الناتج عن الخبرة الشخصية . وهنالك نوعان من الخبرة التى تؤثر فى القيم والتى يتعلمها أو يمتصها الإنسان وهى الخبرة المباشرة والخبرة المشبعة. ويجب

أن يمتص الإنسان معايير ثقافته ويتصرف من خلاله بينما يظن أن سلوكه يكون إرضاء لضميره وخضوعاً لإرادته الذاتية. (محمد محمد الزلباني،١٩٧٣، ٦٨،٦٩).

وشخصية الفرد تنمو وتتشكل من خلال الخبرات التى يستقبلها من اتصاله بالأنماط الثقافية المختلفة سواء عن طريق التربية الرسمية وغير الرسمية وعن طريق الوسائط التربوية مثل الإذاعة والتلفزيون والمجلات والجرائد وجماعة الأصدقاء والثقافة العملية ...الخ. وللتربية فى أى مجتمع إنسانى وظائف متعددة منها مساعدة الفرد فى مراحل عمره المختلفة على اكتساب الخبرات الاجتماعية المتفاوته حسب المرحلة العمرية للفرد نفسه حيث أن الفرد منذ الطفولة وهو محتاج للتعامل مع أفراد المجتمع ومحتاج للتعامل والتفاعل مع مختلف جماعات المجتمع بما يحقق له النفع والانتماء إلى أى جماعة. وأنواع المهارات والمعارف والخبرات المختلفة التى تعد محصلة التفاعل الاجتماعى إنما يكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافية معاً أى عن طريق عملية نقل الأفراد للثقافة بمظهرها المادى واللامادى وتقبلهم وتمثلهم بالتالى لتلك الثقافة. وتوفر للأفراد المعانى والمعايير التى يميزون فى ضوئها بين الأشياء والأحداث فما يعتبره الفرد طبيعي أو غير طبيعى من الناحية المنطقية يشتق من معانى الثقافة وأسس التمييز فيها . (يسرى دعبس ١٩٧٧ ،١٣٦- ١٤١)

ز) المعنى والمجتمع :

فالفرد لا ينتمى لذاته بقدر ما ينتمى إلى المجتمع فشخصيته مقيدة ومحكومة بالمجتمع وتنظيمه وثقافته إلى حد كبير. ويرى دور كاييم أن هذا القيد ليس الذى نعرفه اليوم فإن شخصية الفرد لم تكن وجدت بعد. ويعطى دوركاييم مثالاً لذلك بقوله إنه فى بعض المجتمعات البدائية قد ينتحر الرجل المسن لأنه أصبح عبئاً على رفاقه فى المجتمع أو حينما ترفض أرملة الهندى الحياة بعد موته وحينما ينهى البوزى حياته وهو يحمل معبودته مثلما تطلب منه الطقوسات الدينية ذلك فى كل هذه الحالات يقبل الفرد نفسه ليس لأن الحياة سيئة ولكن لأن الذى ارتبط به يتطلب هذه التضحية وبذلك يصبح هذا الموت ليس انتحاراً بالمعنى الشائع للكلمة وإنما هو تضحية بالنفس حينما يوجب المجتمع ذلك . إذن فالكل الاجتماعى له مثله ومعتقداته التى ينبغى لاجزائه الواقعية أن ترى الواقع من خلالها. لم يهتم فيبر بالمعنى الذاتى للإنسان فيما يتعلق بالموقف ولكن إهتم بمعنى الموقف بالنسبة له، كما اهتم فيبر بتأثير المعنى وحده على السلوك الإنسانى وبتأثير العلاقات الاجتماعية ذات المعنى على هذا السلوك أيضاً. (على ليلة ،١٩٨٣، ٥. ١- ٥٥٥). وقد تبنى كثير من علماء الاجتماع الدعوة إلى تحصين التقارب بين الفرد والمجتمع. أى تحقيق التفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعى (محمد سعيد فرج وآخرون،١٩٧٥ ،٨٧،٨٦،١٧٥). ويوضح الشكل رقم (٦/٢) استفاده علم النفس من علم الاجتماع فى معنى الحياة

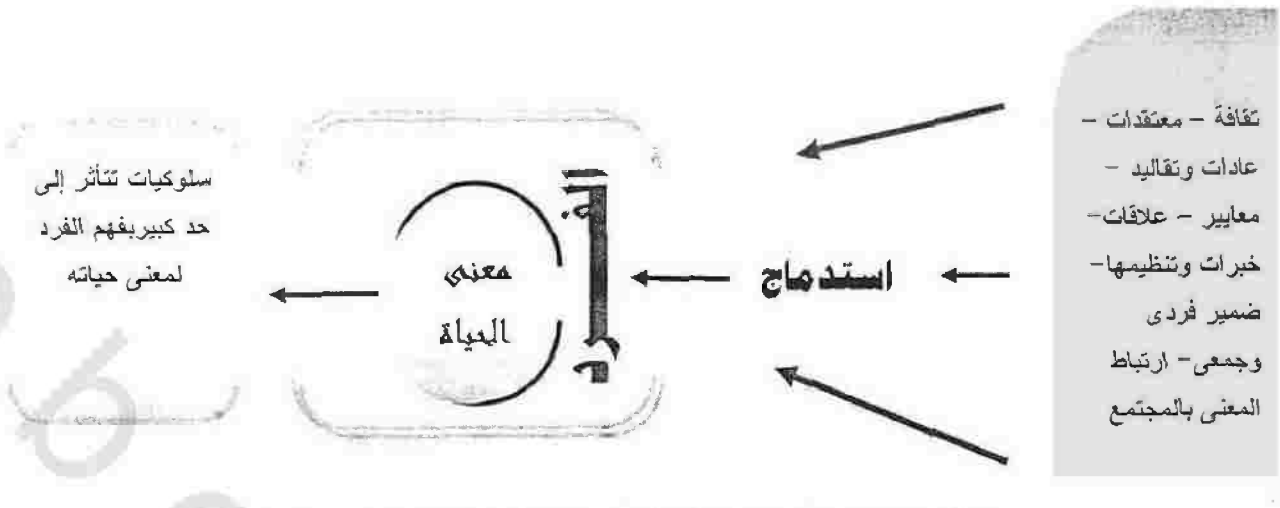

شكل رقم (٦/٢) استفاده علم النفس من علم الاجتماع فى معنى الحياة

obeikandi.com

القسم الثانى: معنى الحياة فى علم النفس

أ)بزوغ المفهوم فى علم النفس.

ب)مفهوم معنى الحياة تمايز المفهوم.

ج)السياقات الخاصة بتكوين المعنى.

د)كيفية تكوين المعنى.

هـ)إرتباطات المعانى.

و)توجيه المعنى.

ز)فقد معنى الحياة لدى الفرد وأسبابه .

ح)تأثير فقد المعنى على سلوك الفرد .

ط)الخبرات والمعانى.

ى)الجوانب الوجدانية فى تكوين المعانى.

ك)الجوانب العقلية المعرفية وتكوين.

ل)معنى الحياة وبعض العوامل الديمجرافية.

ل/١ النوع

ل/٢ العمر

ل/٣ نوعية الحياة

ل/٤ أسلوب الحياة.

obeikandi.com

القسم الثانى: معنى الحياة فى علم النفس

أ) بزوغ المفهوم في علم النفس :

ظهر مصطلح معنى الحياة فى علم النفس من خلال إسهامات "فيكتور فرانكل " Viktor Frankle فى مجال العلاج بالمعنى Logotherpy والذى تتلخص أهدافه فى مساعدة الفرد على إيجاد معنى له فى الحياة ليستطيع أن يعيش وينجز ويحقق أهدافه المستقبلية، وقد قامت مدرسة "فرانكل" على أساس من انتقاداته التى وجهها لكل من التحليل النفسى الفرويدى وعلم النفس الأدلرى وخاصة تلك الانتقادات الموجهة إلى نظريتى الدافعية لدى كل منهما، حيث يرى فرانكل أن مبدأ اللذة الفرويدى ودافع المكانه الأدلرى غير كافيين لتفسير سلوك الإنسان وهو فى هذا الصدد يقرر أنه وضع ما أسماه مبدأ "إرادة القوة The Will to Power" ليعارض به مبدأ اللذة الذى يحكم نظرية الدافعية فى التحليل النفسى (عبد الرحمن سيد ،ايمان فوزى،١٩٩٩) وتأتى نظرة "فرانكل" لمعنى الحياة غير منفصلة عن نظريته للإنسان فالمعنى يرتبط بفرد بعينه كما يتحدد بمحددات موضوعية وبيئية وثقافيه اجتماعية . (محمد عبد الظاهر الطيب، ١٩٨١، ص٣٢٨)

ويؤكد فرانكل أن جوهر الدافعية الإنسانية يكمن فى "إرادة المعنى" Will to meaningويعد هذا المعنى فريداً بالنسبة لكل شخص فهو يخصه وحده ولا يتحقق إلا من خلاله هو فقط، كما يمكنه أن يشبع إرادة المعنى لديه عن طريق إنجازاته الشخصية وحدها. ويضيف "فرانكل" أنه لكى يحصل الإنسان على هدف حقيقى ومعنى صادق للحياة فإنه يجب أن يتقبل معنى لمعاناته، وفى النهاية لموته ومن هنا يصبح الموت فى الحقيقة عاملاً ذا أثر هام فى إعطاء الحياة معناها ومغزاها (صفاء اسماعيل،١٩٩٨)

ومعنى الحياة من الموضوعات الهامة التى تشغل تفكير الفرد والعالم كما يظهر لنا من الاحصائيات والمؤتمرات حيث تشير الإحصائيات إلى أن نسبة (٤٦%) من الأفراد يفكرون أغلب الأحيان فى المعنى والغرض من الحياة (Medical Society News Leter, 2000). كما اهتم علم النفس الإيجابى Positive Psychology فى نهاية القرن الماضى وفى بداية القرن الحالى، بالمعنى وكيفية البحث عنه. ففى المؤتمر الدولى الأول المنعقد في فرانكفورت بألمانيا، كان موضوعه الأساسى عن المعنى فى الحياة. وأوضح المؤتمر أن معنى الحياة هو إحساس الفرد بالتماسك وطلب سبب للوجود والإحساس بالغرض والاتجاه نحو الحياة، وأن موضوع دراسة المعنى قد أغفلت دراسته لإرتباطه بالأسباب الغيبية أو الدينية ودارت توصيات المؤتمر حول التأكيد على دراسة الاتجاه الإيجابى فى علم النفس. (William, 2001). فالذى يدفع الإنسان فى الحياة فى نظر علماء النفس ذو التوجه الإنسانى وأصحاب التوجه الوجودى هو المعنى، فالإنسان دائم السعى لمعرفة معنى هذه الحياة بالنسبة له، واستكشاف الإنسان لمعنى حياته فى رأيه هو رسالة يعمل الإنسان لها ويدافع عنها، وهو يدرك هذا الهدف ويعى الرسالة بل ويدرك إرادة تحقيقها لذا فإن الرسالة ليست مرتبطة بحاجة تشبع فتكف عن الدفع وإنما هى إرادة دائمة طالما يوجد الإنسان وهى إرادة الوجود. وإرادة الوجود تحركه نحو الارتباط بما يعطيه معنى لوجوده وتوجه السلوك

على النحو المشبع لهذه الإرادة وهى ميكانيزم دفين فى شخصية الإنسان وليس غامضاً بل يمكن أن يتبصره بنفسه ويتلمس السلوك المترتب عليه (حمدى الفرماوى،٢٠٠٢، ٤٨)

وينظر عبد السلام عبد الغفار للإنسان فيقول"إن من خصائص الإنسان الهامة أنه يختار وهو حر فى اختياره، إن له إرادة وهى قوة منظمة ودائمة الدفع لسلوكه أيضاً وللإنسان قدرة على السمو والالتزام بقيم ومُثل والتفانى فيما يلتزم به"، وهناك فرق بين "إرادة الوجود" "وتحقيق الذات" Self actualization عند ماسلو فإرادة الوجود كحاجة إنسانية تتصف باستمرارية الدفع وليست صعبة المنال بل يعيشها الإنسان وقد يختلف الأفراد فيما بينهم فى المعنى الذى يصل إليه كل منهم لحياته، ولهذا فهم يختلفون فى أهدافهم، ولكل واحد الحرية فى الوصول إلى المعنى الذى يعيش من أجله وذلك على خلاف المعنى الذى يسوقه ماسلو متمثلاً فى تحقيق الذات تلك التى تحمل أسباب الكف عند حد معين وهى صعبة المنال فلا يصل إليها إلا القليل وترتبط إرادة الوجود بإرادة أخرى وهى إرادة العطاء وهى قوة دافعة أخرى تكتمل بها إرادة الوجود وتعطيها رونقاً وجمالاً وهى تدفع الإنسان إلى العطاء رغبة فى العطاء نفسه حيث العطاء الذى لا يخفى مطمعاً أو سيطرة بل إن سلوك العطاء يحمل جائزته هو سلوك واع اختيارى(عبد السلام عبد الغفار،١٩٨١،٢٠٢-٢١٠). ويؤكد علماء النفس الوجوديين من أن البحث المستمر عن المعنى فى الحياة يتضمن عملية إتخاذ قرار وهذا يتطلب من الإنسان شجاعة ليقرر الطريق الذى يختاره. لذلك فالإنسان فى بحثه عن معنى حياته قد يمر بخبرات مرهقة من الخوف والفشل ترهقه إلا أنها تحسن من الأداء والصحة (Sal, 2004)

من العرض السابق يقدم علماء النفس إجابات عن بعض التساؤلات الفلسفية حول قيمة الحياة وجدواها وتبقى الاجابات معلقة عن بعض الأسئلة الآخرى المطروحة، وللإجابة عن التساؤلات السابقة تعرض الباحثة بشيئ من التفصيل للموضوع.

وهنا يجدر الإشارة إلى أن الباحثة ستتناول معنى الحياة من منظور نمائى يتكون لدى الإنسان بشكل طبيعى على مدار حياته. بإعتباره مفهوم ضرورى ومهم للإنسان على مدار حياته الطبيعية.

ب) مفهوم معنى الحياة وتمايز المفهوم :

يعد مفهوم معنى الحياة من المفاهيم التى بدأت تستحوذ على اهتمام الباحثين فى مجال الصحة النفسية، نظراً لارتباطه بأسلوب الحياة، حيث أصبح من الضرورى أن يكون جزءاً من أسلوب الحياة لتجنب الكثير من الضغوطات والأمراض العصرية. فيرتبط معنى الحياة لدى الإنسان بقيمة حياته ورضاه عن ذاته وتقديره للمعنى الذى تنطوى عليه حياته والدور الذى يرى أنه أهل لأدائه فى الحياة. وهناك بعض المفاهيم القريبة من مفهوم معنى الحياة ومنها :

ب/١ الهوية Identity:

يعرف "ريبير Reber" ١٩٨٥الهوية بأنها مفهوم موضوعى للشخص نفسه كفرد ويستخدم غالباً للتحديد: هوية (الجنس – الدور)، والعرق، أو العنصر، أو لهوية المجموعة. وفى دراسة الشخصية يعنى ضرورة لاستمرار الذات. (Reber,1985,341) ويشير كل من جابر عبد الحميد، وعلاء كفافى (١٩٩١) إلى أن الهوية تعنى المشاعر بأننا نفس الأشخاص الذين كنا بالأمس وفى العام الماضى. وهى الإحساس بالاستمرارية المستمد من أحاسيسنا الجسمية، وصورتنا عن إحساسنا، والشعور بأن ذكرياتنا وأهدافنا وقيمنا وخبراتنا تخصنا نحن. وفى علم النفس المعرفى يشير المصطلح إلى الوعى بأن موضوعا ما يبقى نفس الشىء حتى لو تعرض لكثير من التغيرات والتحولات (جابر عبد الحميد، علاء كفافى، ١٩٩١، ١٦٥٩)

كما يقصد بها تحديد الفرد لمن هو بحيث تكون توقعاته المستقبلية امتدادا واستمرارا لخبرات الماضى وتكون خبرات الماضى متصلة بما يتوقعه من المستقبل مع الشعور بكونه قادراً على العمل كشخص منفرد دون انغلاق فى العلاقة بالآخر، مع الاضطلاع بدور اجتماعى والتوجه نحو أهداف محددة وإنجازها وفق منظور زمنى محدد وتحقيق علاقة ناضجة مع الجنس الآخر مع تحديد أيدلوجية أو فلسفة أو معنى لحياته. (أبو بكر مرسى، ١٩٩٧).

والهوية هى تقييم معرفى وسلوكى ووجدانى يقيمه الفرد لنفسه ولما حققه فى حياته نتيجة لقدراته ومهاراته. وهذا التقييم قد يكون فى الاتجاه الإيجابى؛ فيرضى الفرد عن نفسه وحياته وقد لا يرضى؛ وبالتالى تشكل أزمة بالنسبة له والتى يسميها العلماء بأزمة الهوية. وأزمة الهوية هى نتاج لفشل الفرد فى تحديد هوية معينه له وتشير إلى عدم القدرة على اختيار المستقبل أو متابعة التعليم كما تنطوى على الشعور بالاغتراب وعدم الجدوى وانعدام الهدف وعدم القدرة على اختيار المستقبل المهنى واضطراب الشخصية. وتبدأ أزمة الهوية بالبحث عن مصادر جديدة للمعنى والإنجاز والقيمة. (أبو بكر مرسى،٢. . ٢، ٥٧)

ويعتقد فرانكل أن معظم مشكلات الإنسان فى الحياة هى فى الحقيقة مشكلات، معنى فإرادة المعنى هى القوة الدافعة الأولية للإنسان، وأن أساس إرادة المعنى هو الشعور بالمسئولية، فلكل شخص مهمة ورسالة فى الحياة ومن يمتلك سببا يعيش من أجله فإنه يستطيع غالبا أن يتحمل بأى طريقة وبأى حال. (أبو بكر مرسى،٢. . ٢، ٥٩)

ويرى اريكسون أن مفهوم الهوية يتكون فى فترة المراهقة، لأنها فترة تحدث فيها تغيرات كبرى فى الذات حيث يمر المراهق بخبرة الصراع النفسى ممثلة فى تشكيل الهوية مقابل تميّع الدور. ويتضمن البحث عن الهوية فهم المراهق وإجابته لعدد من الأسئلة:ما نوع المستقبل المهنى الذى يريده؟ ما القيم التى يتبناها ليسلك على أساسها؟ ما الاتجاهات السياسية والأيدولوحية التى يناصرها؟ من هو؟وماذا يفعل؟ ما قيمة وجوده؟. . . إلخ وأكمل "جيمس مارشيا" James Marcia نظرية إريكسون وحاول الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بمراحل تكوين الهوية أو احتمالات تحقيقها أو الفشل فيها وصنف حالات الهوية إلى أربع حالات:حالة "الهوية المشتته أو المتميعة"

Diffused Status، "الهوية المبسترة أو المتعجلة" Forclosure Status، الهوية المؤجلة أو المعلقة Moratorium Status، تحقيق الهوية أو تكوينها Identity Achievement Status. (علاء كفافى،١٩٩٧، ٥. ٤-٥. ٧)

ب/٢ الغرض من الحياة (Purpose in Life (PIL:

يعرف "ريبير Reber" ١٩٨٥ "الغرض" Purpose على أنه: الغرض أو الهدف العقلي المُمَثَّل داخلياً والذي يُوجّهُ ويُوجّهُ له السلوكَ. وهو مصمم إفتراضي لسلوك الكائن الحي الذي يَكْشفُ مباشرة، إصرار وتركّيزَ التوجيه نحو بَعْض الأهدف (Reber, 1985,601).

والغرض من الحياة هو مدى إدراك الشخص للهدف والمعنى من الحياة، وذلك وفقا لمقياس الهدف من الحياة الذى وضعه "كرومباخ وماهوليك" (١٩٦٨). (إبراهيم عيد، ١٩٩٠ ، ٥٨)ويعتبر هذا المقياس اشهر مقياس لفحص عمق المعنى فى الحياة ولكن مثله مثل باقى المقاييس الآخرى تشوبه درجة من المرغوبية الاجتماعية Moholick&,Crumbaugh&Gogi,1989 وقد كشفت نتائج بعض الدراسات عن أن بنود الغرض من الحياة بنود مميزه لوجود الغرض من الحياة بين المجموعات . (Marsh,et. al,2003) والبحث عن المعنى أو الغرض من الحياة يعتبر وظيفة لدى الإنسان فقد اقترح "فرانكل" ثلاث طرق لاكتشاف المعنى وكلها تدور حول العمل والبحث الذاتى المدفوع عن المعنى والإنجاز. وقد قام كرومباخ بحساب صدق المحك لعينات سوية ومرضية، والثبات بالقسمة النصفية لمقياس الغرض من الحياة وكانت معدلات الصدق والثبات مرضية. (Donna,Kay,2000)

ب/٣ التوجه نحو الحياة (Life Orientation (LO:

يعرف "ريبير Reber" ١٩٨٥ "التوجه" على أنه نظرة خاصة "لرؤى العالم" World view منظور عام جداً للحياة: العلمى، الفلسفى. . . إلخ (Reber,1985,5. 3). كما يعرفه كلاً من شاير وكارفر Scheier& Carverوفق لمقياسهما: الاستعداد أو الاستهداف للتفاؤل بأنه النظرة الإيجابية، والإقبال على الحياة، والاعتقاد بإمكانية تحقيق الرغبات فى المستقبل بالإضافة إلى الاعتقاد باحتمال حدوث الخير أو الجانب الجيد من الأشياء بدلاً من حدوث الشر أو الجانب السيئ. (بدر الأنصارى، ٢٠٠٢). إلا أن دراسة سميث وزملائه أظهرت أن اختبار التوجه نحو الحياة لا يقيس التفاؤل بل يقيس العصابية، وذلك اعتماداً على دراسة عالمية لمقياس التوجه نحو الحياة ومقياس التوقع العام للنجاح، ومقياس القلق الصريح، ومقياس سمة القلق، حيث كشف التحليل العاملى عن استخراج عامل واحد أطلق عليه العصابية، وبهذه النتيجة فإنه يجب إعادة النظر فى تفسير مقياس التوجه ناحية الحياة بوصفه مقياساً للتفاؤل. (بدر الانصارى،١٩٩٨، ٣٧)

ب/٤ أسلوب الحياة : Life style

يشير "ريبير Reber" ١٩٨٥ إلى أن أسلوب الحياة وفقاً لمصطلح "أدلر" هو الأسلوب الواسع الانتشار الفريد للشخص، وافترض أنه متكوّن من مجموع: دوافعه، وسماته، ومصالحه، وقِيَمه، ويظهر فى كُلّ سلوك

للشخص (Reber,1985,740). ويرتبط بالأسلوب التى يسيّر بها الفرد حياته وكيفية تحقيق أهدافه على المستوى الفكرى أو السلوكى أو الوجدانى. وهذا الجانب مرتبط ببعد من أبعاد المقياس (معنى الحياة) الذى أعدته الباحثة للدراسة، وذلك لمدى أهميته فى تكوين المعنى الذى يتبناه الفرد ويضعه موضع التنفيذ، فيضع كل فرد هدفاً مبكراً فى حياته، ويكون باقى الأهداف بجانبه ثانوى. وهذا الهدف تبعاً لـ" لأدلر " يشكل أسلوب الحياة الذى يكون سنداً للفرد، ضد انعدام الأمن الذى يأتى نتيجة الشعور بالعجز. وأسلوب الحياة هذا يساعد الفرد لكى يتوافق فى: المجتمع، وفى المهنة، وفى الحب، وتعتمد الوجهة التى سيتخذها أسلوب الحياة على المؤثرات البيئية المبكرة والنمط الأسرى وطبيعة الشعور بالنقص ،ومن الممكن أن يؤدى أسلوب الحياة إلى ظهور المواهب ،والى السلوك الإيجابي المفيد اجتماعياً، ولكنه من الممكن أن يؤدى أيضاً ،إلى تعويض زائد مرضى. (والترج . كوفيل ،بدون، ٤٧)

وقد أظهرت نتائج الدراسة الإكلينيكية أن مجموعات المرضى بأمراض القلب التاجية يمكن أن يحفزوا ليقوموا بتغييرات شاملة فى أسلوب الحياة خارج المستشفيات، ويساعد أسلوب الحياة الجديد للفرد مع علاجات أمراض القلب التاجية ليكون الفرد آمناً ومتلائماً. فقد أظهر المرض بعد سنة فى المجموعات التجريبية تحسناً مما يؤكد أن تغيير أسلوب الحياة لهؤلاء المرضى فى بعض المجالات مثل: الغذاء، والإقلاع عن التدخين، والتدريب على السيطرة على الضغوط، وممارسة بعض التدريبات الرياضية المتوسطة – يُحدث لهم تحسناً فى حالتهم الصحية، وينعكس ذلك على حالتهم النفسية، وشعورهم بالسعادة. (Steptoe,& Wardle ,1994,p 207-519).

يتضح مما سبق أن الهوية والغرض من الحياة، والتوجه نحو الحياة مصطلحات مرتبطة جزئياً بمصطلح معنى الحياة الذى يعد أشمل وأعم. فالفرد الذى يعرف معنى حياته يستطيع أن يحدد الغرض منها ويكون له وجهة خاصه به متفائلة أو متشائمة، ومن هنا يكون قد حدد هويته: من هو، وماذا يعمل.

ج) معنى الحياة فى البحث الحالى :

سبق عرضه فى الفصل الأول ويقصد به:

مجموعة من المفاهيم الإيجابية أو السلبية، يكونها الفرد عبر الحياة عن حياته، من خلال مصادر مختلفة داخل حيز خبراته الشخصية التى يخبرها فى مواقف تفاعله مع ذاته والآخرين فى ظل ثقافة المجتمع ومتغيراتها. وتعكس هذه المفاهيم توجه الفرد نحو الحياة، وأسلوب حياته.

وترى الباحثة أن معنى الحياة يتكون من ثلاثة أبعاد على النحو التالى: الوعى بمعنى الحياة، والتوجه نحو الحياة، وأسلوب الحياة.

وقد حاولت الباحثة الاستفادة من هذا التعريف بما يتضمنه من أبعاده الثلاث فى بناء مقياس معنى الحياة– موضع اهتمام البحث– وسوف يتضح ذلك فى فصل المنهج والإجراءات (الفصل الرابع).

د) السياقات الخاصة بتكوين المعنى :

يمكن النظر إلى تكوين معانى الحياة من خلال سياقات عديدة تفسيرية وليست ظاهرية تحيط بالفرد ويتفاعل بها ومعها، والسياق هو الإطار السلوكى والاجتماعى والثقافى الذى يتفاعل فيه الفرد مع نفسه ومع الآخرين، وفيه يتم استخلاص المعنى من الخبرات المختلفة التى تتم بين العناصر المختلفة المتفاعلة فيه وله مستويات مختلفة من التأثير والامتدادات. وتقترح الباحثة السياقات وتفاعلها فى الشكل رقم (٢/٧) والذى يتضح منه ما يلى:

١- السياق الخاص بالفرد وخبراته وسمات شخصيته.

٢- السياق الخاص بالمجتمع المحلى وما يتضمنه من ثقافة سائدة وعادات وتقاليد.

٣- السياق الخاص بالمجتمع العالمى وفكره وثقافته.

وهنا نجد أننا لا يمكن تفسير سلوك الأفراد الظاهر دون أخذ السياقات السابقة فى الاعتبار، فالفرد بشكل عام يترجم أحياناً تلقائياً - بوعى وأحياناً أخرى دون وعى - كل ما يعتنقه من أفكار ومبادئ وقيم، بل وما يعبر به من انفعالاته الإيجابية والسلبية. ويعتمد ذلك على رؤيته للعالم المحيط به محلياً كان أو عالمياً ومفهوم رؤى العالم مجموعة من الاعتقادات تتضمن بيانات وفرضيات محددة موجودة وغير موجودة من حيث الواقع أو من حيث المبدأ. وهى طريقة لوصف الكون ومن ضمنها الحياة. ويرى كيلى أن رؤى العالم تحدد الأهداف المرغوبة وتتضمن الفرضيات القابلة وغير القابلة للحل، وتُدار هذه الفروض داخل نظام معتقدات الفرد عما سيحدث أو ما يمكن أن يحدث. واختلاف رؤى العالم بين الأفراد يؤدى إلى فهم مختلف للحقيقة وفى رؤيتهم للأحداث. ويتأثر بالعلاقة بين الذات والسلوك والخبرة. (Rivera ,2004) كما أن تقدير الذات مرتبط بالمعتقدات والقيم الحاصل عليها الفرد من رؤيته للعالم المحيط به. (Tompyszczynski,et. al. ,2004) وتؤثر الثقافة فى رؤية الأفراد لأنفسهم، وجميع الأفراد لهم وجهات نظر متعددة فى رؤية أنفسهم فقد كشفت دراسة سو ٢٠٠٢ على عينة من أمريكا الشمالية. وإتضح أنهم ينظرون لأنفسهم على نحو أكثر مرونة من خلال المواقف(Suh, 2002). وتعددت الدراسات فى هذا الصدد فى مجالات مختلفة حيث درس (وينجن) العلاقات بين أزواج من ثقافات مختلفة والتى تعتمد على مفهوم رؤى العالم ومدى قدرة استيعاب أحدهما أو كليهما للفروق الثقافية بينهم والتى تظهر فى المعتقدات والقيم وتنعكس على السلوك (Frame,2004). ومعنى الحياه مفهوم يتأثر بكل ما سبق؛ لذلك لابد من دراسة معانى الحياة فى ظل كل هذه المتغيرات.

ويوضح الشكل المقترح رقم (٧/٢) السياقات المختلفة المؤثرة فى المعانى.

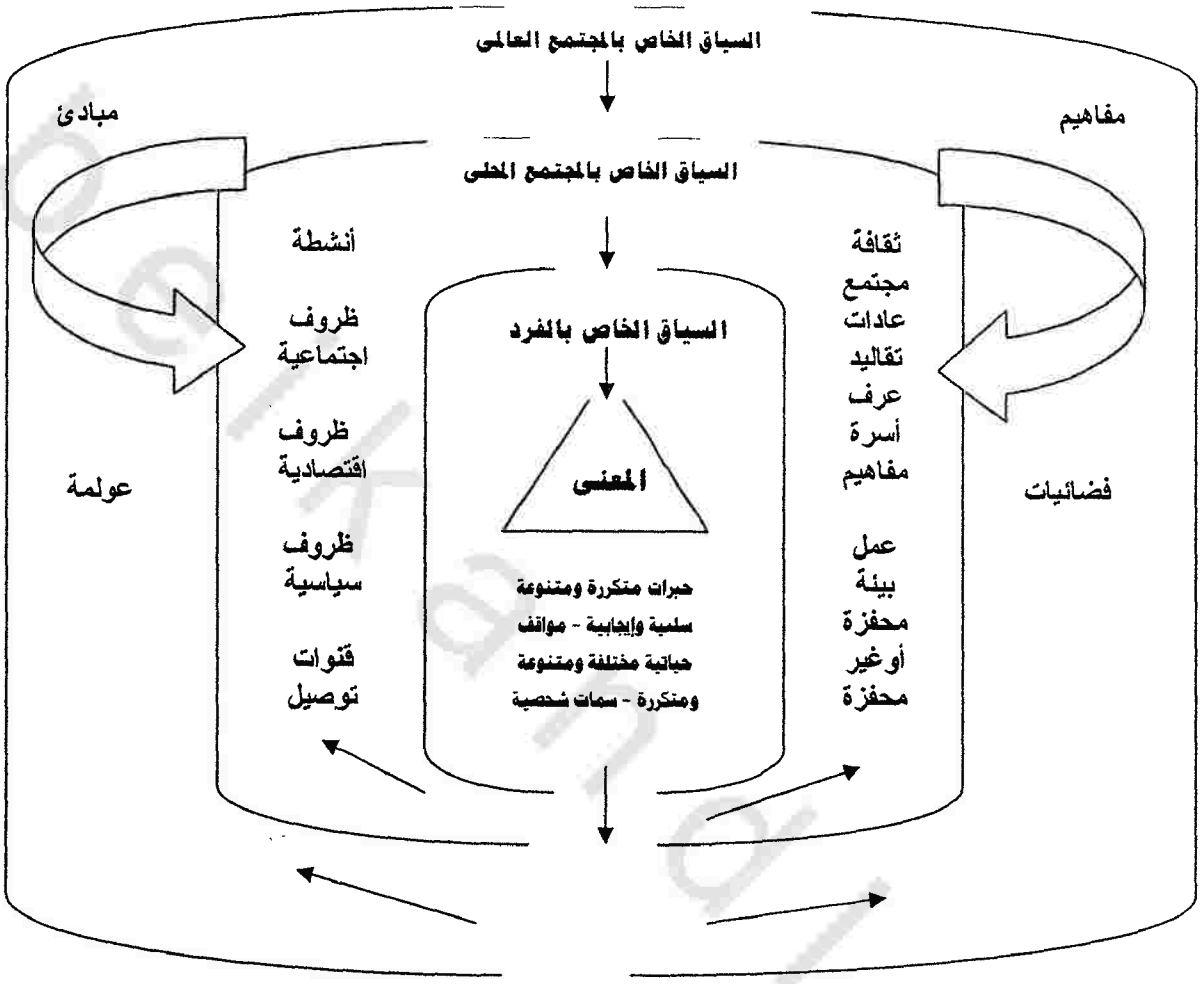

شكل (٧/٢) السياقات التى تؤثر فى تكون المعنى تصور مقترح من الباحثة

وقد اهتم" فرانكل" بالتمييز بين مفهومين للمعنى، مفهوم مطلق عام ومفهوم فردى خاص بالفرد. ويرى أن هذا المعنى الفردى مرتبط بطريقة أو بأخرى بالمعنى المطلق للحياة، فالمعنى الحقيقى للحياة إنما يوجد فى العالم الخارجى أكثر مما هو فى داخل الإنسان أو فى تكوينه النفسى. (فرانكل- ترجمة طلعت منصور، ١٩٨٢، ص١٤٧)

وهنا نجد أن فرانكل أكد أهمية العالم الخارجى المحيط بالفرد فى تكوين المعنى عنده مما يؤيد التصور الخاص بالسياقات المحلية والعالمية المحيطة بالفرد وتؤثر فى تكوين المعانى لدى الأفراد.

أما نموذج معنى الحياة الذى تقدمه"فان دورزن- سميث"، فيكشف الوجود الإنسانى. حيث يكون على الإنسان أن يكتشف معنى وجوده على أربعة مستويات للخبرة: فالأول يتعلق بالخبرة الحسية فى العالم الطبيعى، والثانى يتعلق بالخبرة ذات الطابع الاجتماعى أو ما تسميه العالم العام، والثالث يرتبط بالخبرة الشخصية أو ما تسميه العالم الخاص، أما الرابع فيختص بالمثال أو ما تسميه العالم المثالى.

وتقسم "فان دورزن- سميث" أنواع المعنى فى الحياة وفقاً للمستويات الأربع للخبرة إلى أغراض أساسية تتحقق من خلال أهداف وسيطة، ثم تعرض لما تسميه" بالاهتمام النهائى" الذى يشكل تهديداً لتحقيق المعنى على كل مستوى للخبرة. فعلى كل مستوى نجد أن الغرض الأساسى يتناقض مع الإهتمام النهائى، فالأول يمثل القيمة المثالية التى يسعى إليها الإنسان عن وعى أو عن غير وعى، أما الثانى فيحتل الجانب الخفى والمنطقى والذى لايمكن تفاديه فى صورة تهديد لتحقيق الإنسان المثالى بذلك، يصبح تحقيق المعنى هو النجاح فى التحدى والتغلب على مهددات المعنى المتمثلة فى الإهتمامات النهائية. (عبد الرحمن سليمان،وإيمان فوزى، ١٩٩٩)

والذى يشغل الناس ليس هو معنى الحياة بصفة عامة ولكن الذى يهمهم هو المعنى الخاص للشخص عن الحياة فى وقت معين. والمعنى ليس نسبياً، ولكنه متفرد Unique على حد تعبير فرانكل- بحيث تكون لكل إنسان فرصة فريدة لاكتشاف معنى شديد الخصوصية لحياته. (فرانكل- ترجمة إيمان فوزى، ٢٠٠٤، ٨٨). وقد كشف "ريتشر " ٢٠٠٣ فى دراسته لبعض معتقدات الساميين حول معنى الحياة، أنها تدور حول معان شخصية خاصة بهم منها: حب الحياة والاستمتاع بها، وحب الآخرين ومساعدتهم، وعبادة الله، والكفاح وتحقيق الذات، وخلق المعنى (Richard,et al. ,2003)

هذا المعنى يستطيع الإنسان أن يكتشفه فى سياق إنجاز شخصى ابتكارى، أو خبرة يندمج فيها الإنسان مع قيم الحق والخير والجمال، أو حتى مع مكابدة الألم والمعاناة التى لا يمكن تفاديها. فقد يكون الإنسان صاحب إبداع فنى – مثلاً- بحيث تصبح إبداعاته هى محور المعنى فى حياته، وقد يعيش محباً للفن متذوقاً له أو محباً للعلم ينهل من بحوره أو حتى محباً للآخر- شخص أو أشخاص- فيرتبط معنى الحياة لديه بخبرة الحب أو الشوق

للمعرفة. وحتى فى المواقف التى يحرم فيها الإنسان من قدراته الابتكاريه أو من حاسته الإدراكية وقدرته على التواصل مع الآخر، فإنه يحتفظ بالقدرة على تحقيق المعنى فى حياته، ففى مثل تلك اللحظات التى يواجه فيها الإنسان قدره الذى لا يملك له درءاً يجد الإنسان فرصة أخيرة لتحقيق المعنى- بل لتحقيق أعلى معانى الحياة قيمة وأكثرها عمقاً، ألا وهو معنى المعاناة. وهكذا يحدد" فرانكل" ثلاث مجموعات من القيم يرتبط بها معنى الحياة لدى الإنسان:" قيم ابتكارية Creative، وقيم خبرية Experiential، وقيم اتجاهيةAttitudinal". وهذا الترتيب يعكس الطرق الثلاث الرئيسية التى يمكن أن يجد بها الإنسان معنى فى الحياة. وتعنى الأولى ما يعطيه للعالم فى صورة ابتكارات، وتعنى الثانية ما يأخذه من العالم فى صورة التقاءات وخبرات، أما الثالثة فتعنى الموقف الذى يتخذه من محنته فى حالة ما إذا كان يجب عليه أن يواجه قدراً لا يمكن تغييره. وهذا هو السبب فى أن الحياة لا تتوقف أبداً عن أن يكون لها معنى، لأنه حتى الشخص المحروم من كل من القيمتين الابتكارية والخبرية يظل أمام تحدى المعنى الذى يجب عليه أن يحققه، وهو المعنى المتضمن فى الكيفية التى يتحمل بها معاناته وهو شامخ البنيان رافع الرأس". (فرانكل- ترجمة إيمان فوزى، ٢٠٠٤)

ويرى"فيركيوس وسوليفان"(١٩٩٧) Ferqus, O,Sullivan أن تكوين المعنى الإيجابى للحياة يتمثل فى البعد عن المفاهيم السلبيه التى يكونها الأفراد فى المجتمع؛ مما يساعد على تحقيق الأهداف فى الحياة ، وإدراك الفرد لحياته تطرأ عليه جوانب التغير نتيجة للبعد عن المفاهيم الجامدة وهذا يعطى الطابع الوجودى ومدى تحققه لدى الأفراد فى الحياة . (خيرى حسين، حسن عمر علام، ١٩٨٩). وقد كشف "أوكونور وفرانس" ٢٠٠٢-٢٠٠٣ " عن أن المشاعر السلبية سببها أحداث الحياة السلبية، ووجد دلائل على أن إعادة الهيكلة الإدراكية لنموذج تكوين المعنى وللأحداث، بالإضافة إلى تعديل أحداث الحياة السلبية، يزيد من المشاعر الإيجابية. (O'Connor, Frances,2002-2003)

هـ) كيفية تكوين المعنى :

إذا نظرنا إلى المعنى وكيف يتكون لدى الفرد فقد نجد أنه لابد وأن يكون هناك مصادر يستقى منها الفرد ما يتواءم معه من معانٍ ولا يكفى توافر المصادر بل لابد من توافر مجموعة من الأنشطة التى تُفعل ما استقاه الفرد من المصادر، ولابد أن تشبع وتحقق هذه الأنشطة حاجات الفرد على كافة المستويات والتى تختلف من فرد إلى آخر، وهذا ما يفسر اختلاف المعانى بين الأفراد.

وتقترح الباحثة تصوراً نظرياً لكيفية بناء معانى الحياة كما يلى:

(أ) كيفية تكوين الفرد لمعانى الحياة.

(ب) عرض نظرى وتصورى لتكوين المعانى "معنى النجاح".

هـ/١) تصور نظرى تقترحه الباحثة (ويوضحه شكل ٨/٢) لكيفية تكون المعنى نوضحه فيما يلى :

يتكون المعنى إذا توافرت مجموعة من الشروط:(وقد يتم تكوين المعانى أحياناً بوعى وأحياناً كثيرة بلاوعى) وهى:

هـ/١/١ مصادر للمعانى: إدراك معرفى ووجدانى لهذه المصادر. ومن هذه المصادر أفكار الفرد وأفكار الآخرين – عادات وتقاليد الأسرة – ثقافة المجتمع المحلى وقيمه – ومبادئه – العقيدة والدين – الثقافة الوافدة من المجتمع العالمى – خبرات مؤثرة متكرر (خبرات إيجابية (نجاح– فـرح. . . إلخ) خبرات سلبية (فقد – معاناة – صراع. . . إلخ).

هـ/١/٢ أنشطة لممارسة هذه المصادر:فكرية– سلوكية – انفعالية (تترجم ما اكتسبه الفرد من المصادر – حاجات تشبع من مزاولة هذه الأنشطة – تحقيق الحاجات (يصل الفرد لدرجة أن مزاولة هذه النشاطات تكون أساسية فى منهج وسلوك حياته)

هـ/١/٣ تدعيمات للأنشطة الفكرية /السلوكية/الانفعالية التى تترجم ما اكتسبه الفرد من المصادر المادية والمعنوية _ الداخلية أو الخارجية

هـ/١/٤ تعديل وحذف لبعض هذه المصادر التى لا تشبع ولا تحقق حاجات وأهداف الفرد.

هـ/١/٥ استقرار لبعض من هذه المصادر على مستوى المعرفى والوجدانى والسلوكى لدى الفرد إلى أن تصبح أسلوباً له.

هـ/١/٦ تتكون لدى الفرد المعانى المرتبطة بالمصادر التى مورست ودعمت.

هـ/١/٧ يسلك الفرد السلوك الذى يترجم المعانى التى يتبناها سواء أكان الفرد واعياً بوجودها أم غير واعٍ بوجودها فى حياته. ويكون له طريقته الخاصة التى يترجم بها المعانى، ولكل فرد طرقه الخاصة به، والتى تختلف من فرد لأخر، وتتأثر بالثقافة والقيم والخبرات التى يمر بها الفرد. وقد كشفت دراسة هينى وآخرون عن أن لكل ذات طرق خاصة بها وهى الأفكار التى تعبر عن الفرد وعن التدريبات الاجتماعية والمواقف والمؤسسات الموجودة فى حياة كل فرد والتى تُظهر هذه الأفكار (Heine,et,al. ,1999)

هـ/١/٨ يحدد الفرد أهدافه والسبل إلى تحقيقها بناء على هذه المعانى، ويختار من الأفراد من يشبع ويحقق له إشباع هذه المعانى لتستمر حياته.

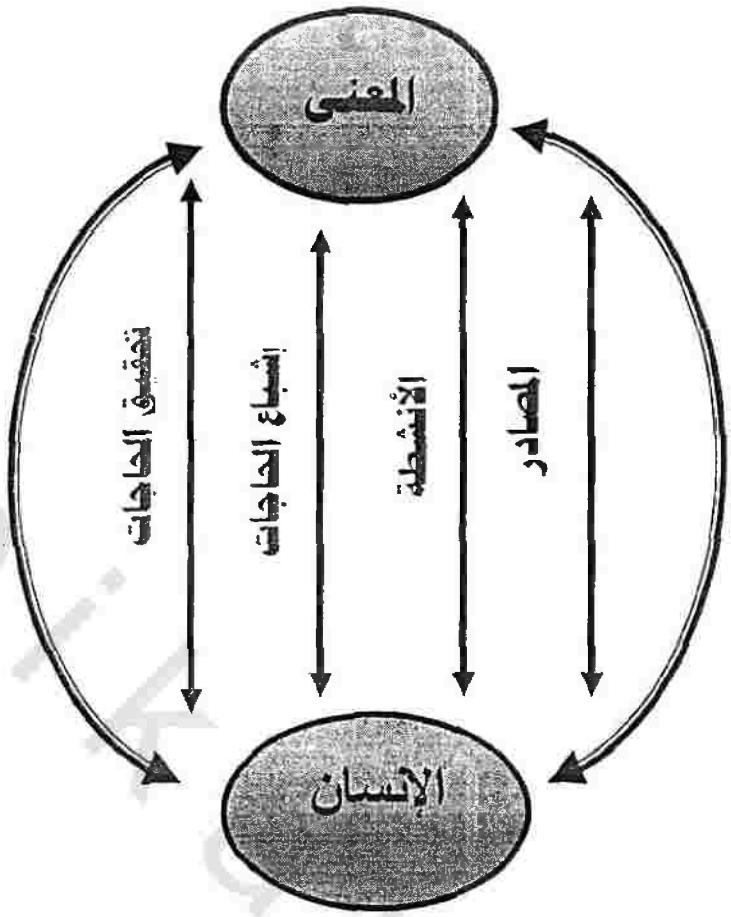

شكل (٨/٢) أهم ما يؤثر فى تكوين المعنى

هـ/٢) عرض نظرى وتصورى لتكوين المعانى "معنى النجاح".

هـ/١/٢ :العوامل التى تساعد على تكوين معنى النجاح وبنائه.

هناك العديد من العوامل التى تساعد على تكوين معنى النجاح يوضحها الشكل رقم (٩/٢) والذى يتضح منه أن هذه العوامل دينامية تتفاعل معاً لتكوين معنى النجاح لدى الفرد .

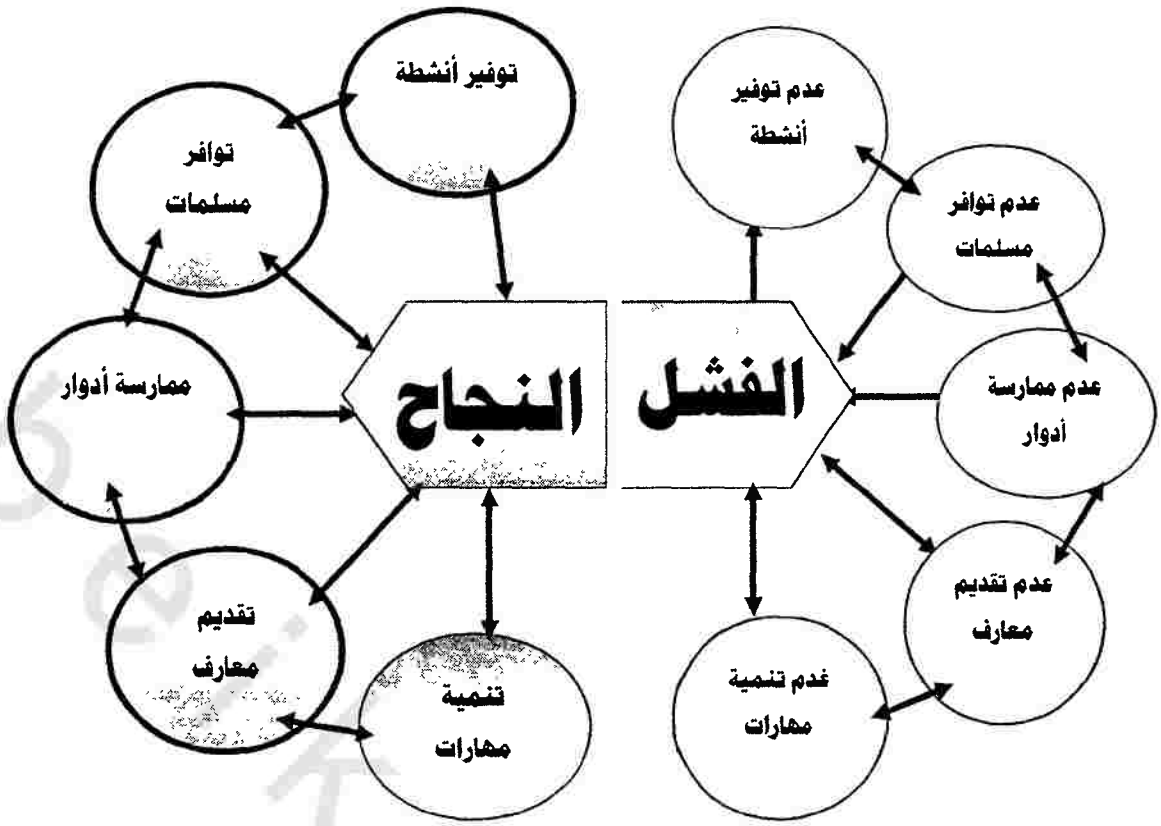

شكل (٩/٢) تصور مقترح تفاعلى عن معنى النجاح والفشل والعوامل المؤثرة فى تكوينهما وبنائهما

هـ/١/١/٢ مسلمات (ظروف مواتية أو مهيئات) :

١- طفل أتم فترة الرضاعة.

٢- أسرة متفاهمة تؤمن بمعنى النجاح، على دراية بأساليب التربية الصحيحة. تتيح الفرص للأبناء للمرور بخبرات متعددة. وتقدم التدعيمات المناسبة فى الأوقات المناسبة.

٣- مجموعة من الأقران المحفزين للفرد.

٤- بيئة مدرسية محفزة.

هـ/٢/١/٢ توفير معارف :

تقديم معلومات مباشرة وغير مباشرة عن النجاح وأهميته. تتنوع من المعلومة المباشرة إلى القصة أو الأغنية أو التمثيليات والأفلام المصورة والكرتون وألعاب الفيديو والكمبيوتر. . . إلخ . يراعى فيها مناسبتها للمرحلة الارتقائية من الطفولة وحتى الرشد. كما لابد وأن تتضمن هذه المعلومات الجوانب المعرفية – والسلوكية – والوجدانية.

هـ/٢/١/٣ توفير أنشطة.

توفير عدد من الأنشطة الحياتية المرتبطة بأنواع مختلفة من النجاح يمارسها الفرد على أن تتضمن جوانب معرفية وسلوكية وانفعالية.

هـ/٢/١/٤ تنمية مهارات

تنمية عدد من المهارات والقدرات التى تزيد من دافعية الإنجاز، وتساعد على حسن إدارة الوقت، والتخطيط الجيد، وإعادة صياغة المشكلات بحثاً عن حلول جديدة. كمهارة تأكيد الذات، والمرونة.

هـ/٢/١/٥ ممارسة أدوار.

تكليف الفرد بمهام بعينها تكون متناسبة مع عمره وقدراته، يكون مسئولاً عنها ويحاسب نفسه على نتيجتها، فيثيب أو يعاقب نفسه. فالبحث عن المعنى يقر نظاماً من القيم الباعثة على الإشباع تتعلق بموضوعات الحياة المختلفة، وتتجسد إمكانيات النماء والإبداع بتوجيه التعلم ليصل إلى القدرة على التوجيه الشخصى والاستقلال الذاتى، وهذا يتطلب من الطفل أن يتعلم ويساعده على كيفية اتخاذ القرارات والقيام بنفسه والالتزام بنتائج أفعاله وتحمل المسئولية حيالها. (طلعت منصور،١٩٧٧، ٣٥١- ٣٥٦)

هـ/٢/٢ : كيف يتكون معنى النجاح.

عملية تكوين المعنى عملية دينامية بمعنى أن الفرد يؤثر ويتأثر بما يتعلمه ويكتسبه من خبرات ومعارف. ويغير ويعدل مسار أى معارف أو سلوكيات لا توصل للغرض أو النتيجة المطلوبة على مدار حياته. ويعتمد ذلك على التدعيمات الداخلية والخارجية، التدعيمات الداخلية التى يكافئ بها الفرد نفسه عند تعلمه أو اكتسابه خبرة ترضيه. والتدعيمات الخارجية التى يحصل عليها الفرد من البيئة الخارجية وما يرتبط بها عندما يصدر سلوكاً أو يستجيب لموقف أو منبه ما حيث تبين أن الاستجابة الصادرة من الفرد تعتمد على المهمة المطلوبة وعلى وسائل التعزيز أو المنع . (Department of clinical psychology,1999) هذا بالإضافة إلى المعنى نفسه وكيفية تعلمه.

ولتكوين مُعنى النجاح لدى الإنسان لابد أن:

تقدم الأسرة والمدرسة والجهاز الإعلامي (المجتمع المحلى) للفرد قدراً مناسباً من المعارف المتعلقة بالنجاح وأنواعه وكيفية الوصول إليه، تقدم على فترات، قبل، وأثناء، وبعد ممارسة مجموعه من الأنشطة تخدم معنى النجاح. هذه الأنشطة تجعل الفرد يعايش النجاح كسلوك وكفكر ووجدان، تجعله يشعر بلذة الوصول إلى نتيجة إيجابية من النشاط المقدم. هذا الشعور يعمل بمثابة التدعيم الداخلى النابع من داخل الفرد لإصدار هذا النشاط مرة أخرى. وبهذا تكون النتيجة الإيجابية (النجاح فى المهام) هى المرغوبة لدى الفرد. ويحاول بكافة الطرق للوصول لها ويحفز نفسه على النجاح. هذا بالإضافة إلى التدعيمات التى تقدمها الأسرة والمدرسة

للسلوك أو الأفكار أو الوجدان الدال على النجاح. الذى يصدره الفرد. كما تقوم الأسرة بالسماح له بتنفيذ بعض الأعمال يخطط لها بنفسه وينفذها بالطريقة التى يراها مناسبة ويتحمل النجاح أو الفشل فى هذه المهمة، على أن تناقش معه بعد الانتهاء منها ومعرفة الأسباب التى أوصلت للنتيجة (ناجحة كانت أو فاشلة) ومناقشتها ومعرفة ما وراء النجاح من مهارات وقدرات لتنميتها أو الفشل لإصلاحه وإعادة النظر فيه. وبعد التأكد من وصول المعنى الصحيح دون تشويه معرفى له يسمح له بالتخطيط لمستقبله (الدراسى/المهنى/ العائلى).

من جانب آخر إذا جاءت النتائج على عكس المتوقع أى لم يتكون معنى النجاح. فسيتكون المعنى السلبى، وهنا يكون الفشل. ويمكن تغيير هذا المعنى السلبى الذى تكّون لدى الفرد عن طريق إحلال خبرات أخرى تكون مثمرة وإيجابية له، وعن طريق تغير المعارف المشوشة التى كونها. بالإضافة إلى تغير الوجدان السلبى. وبهذا نكون قد تدخلنا من خلال الجوانب الثلاث المعرفية والوجدانية والتى بدورها تؤثر فى الجوانب السلوكية. ويتم ذلك من خلال الأنشطة والمدعمات وتنمية المهارات. . . إلخ .

ويوضح "طلعت منصور"(١٩٧٧) أن إرادة البحث تشير إلى المعنى بإقرار نظام من القيم الباعثة على الإشباع تتعلق بموضوعات الحياة المختلفة وهو نظام يضفى على الوجود الأساسى إشراقاً وسمواً وتتجسد إمكانيات النماء والإبداع بتوجيه التعلم؛ ليصل إلى القدرة على التوجيه الشخصى والاستقلال الذاتى، وهذا يتطلب من الطفل أن يتعلم ويُساعد على كيفية اتخاذ القرارات والقيام بنفسه والالتزام بنتائج أفعاله وتحمل المسئولية حيالها. (طلعت منصور،١٩٧٧، ٣٥١، ٣٥٦)

ويتفق هذا التصور مع ذكره "عبد السلام عبد الغفار" من أن هناك عوامل مؤدية إلى المعنى ومنها: التكوين العقلى الذى يساعد على إدراك وفهم ما يحيط به من ظواهر وتسجيل ما يتعرض له من خبرات من جيل إلى جيل – قدرة الإنسان على التعلم والاستفادة بما يمر به الآخرون والذى يساعده على اكتشاف هدف ومعنى لوجوده– قدرة الإنسان على السمو فوق تكوينه البيولوجى وهو يسمو حتى يبلغ فى سموه حد الالتزام بالرسالات السماوية (عبد السلام عبد الغفار،١٩٨١،ص١٨٩-٢٢٤) وقد كشف "فرى ٢. . . " عن أن الدين والممارسات الروحية والإحساس بالسلام الداخلى المستقى من الدين، والمصادر الاجتماعية– وأحداث الحياة عناصر مهمة فى تكوين المعنى الشخصى للأفراد. (Fry,2000) فضلاً عن أن انشغال الأفراد بحياقم الاجتماعية والنفسية يؤثر فى تكوين معنى الحياة لدى الأفراد حيث كشفت دراسة (سانا وآخرين ٢٠٠١) من أن الإنشغال الاجتماعى والنفسى لدى المسنين له تأثير على نموذج معنى الحياة (Sanna,et,al. ,,2001)

و) ارتباطات المعانى :

وكما أننا لا نستطيع أن نقسم الإنسان لقطاعات منفصله عن بعضها لتفسير السلوك الصادر منه، لأن سلوك الإنسان يصدر عنه كوحده متكاملة، فنحن أيضاً لا نستطيع أن ننظر للمعانى التى يتبناها الإنسان لحياته من

زاوية واحدة، فلابد وأن ننظر إليها من خلال الإنسان ككل متفاعل، ويمكن أن نفترض وجود نظام خاص بالمعانى يعمل داخل الإنسان يبلور المعانى ويعدلها ويكوّن معانى جديدة. هذا النظام لابد وأن يكون دينامياً وشبكياً بمعنى أن المعانى التى يتبناها الإنسان تتفاعل معا وتؤثر فى بعضها البعض من خلال هذا النظام فى تناغم واتساق. ويحدث التناقض إذا تعارضت هذه المعانى فيما بينها، فيلجأ الإنسان إلى إعادة صياغتها مرة أخرى وتعديل بعضها من خلال الجوانب: (المعرفية والوجدانية وسمات الشخصية) و الأوجه المختلفة للمعنى (العمل – الدراسة – الناس . . . إلخ).

ولننظر إلى الأوجه المتعدده لمعنى الحب مثلاً نجدها متمثلة فى: حب الله – حب الوطن – حب النجاح – الحب الرومانسى – حب الشهرة – . . . إلخ وهذه الأوجه تتفاعل مع الأوجه المتعددة للمعانى الآخرى كالنجاح، الشهرة، والغنى ،الإيمان.

ويصدق هذا الكلام على معنى النجاح الذى له عدة أوجه أيضاً والمتمثلة فى: النجاح فى العمل – النجاح فى التعامل مع الآخرين – النجاح فى عبادة الله – النجاح فى الدفاع عن الوطن. . . الخ وأيضاً الإيمان: إتقان العمل – إرضاء ومساعدة الآخرين – حب الله. . . الخ والشهرة كمعنى أيضاً أوجهها: النجاح فى العمل – إرضاء الآخرين – الفخر بالأعمال. . . الخ.

وهنا نجد التداخل بين المعانى واضحاً فأوجه المعانى متشابكة وتتأثر وتؤثر فى بعضها البعض، فالإنسان الذى يحب العمل – وهو أحد أوجه معنى الحب – يحب النجاح الذى هو أحد أوجه معنى النجاح ويتفاخر به أمام الآخرين، وهو من أحد أوجه معنى الشهرة هذه الشبكة من العلاقات بين المعانى تربط المعانى فيما بينها من خلال النظام الخاص بالمعانى داخل الإنسان. وتوجهه إلى الأنشطة التى تحقق وتُشبع هذه المعانى وتدعم بعضها البعض. وهذا أيضاً يصدق على المعانى السلبية كالفشل، والكره، والإيمان الظاهرى كمؤشر للإيمان فى الشكل فقط. . . الخ. وتقترح الباحثة الشكل رقم (١٠/٢) توضح فيه نظام المعانى الذى تقترحه وارتباطاتها:

شكل (١٠/٢) نظام وارتباطات المعانى

ز) توجيه المعنى :

يتطلب تكوين المعنى لدى الإنسان داخل (نظام المعانى) وجود "وجهه " يوجه إليها الإنسان المعنى الخاص به والذى كونه (مروراً بخطوات تكوين المعنى السابق شرحها) ليوجه إليها هذا المعنى. أى أن المعنى يتكون لدى الإنسان ويعود ويوجهه إلى مصادر أخرى يحقق من خلالها نفس المعنى. وفى الحالات السوية لابد وأن تتنوع لدى الإنسان المصادر الخاصة بأى معنى، حتى إذا ما حدث وقابل الإنسان عقبة أو إعاقة أعاقت تحقيقه أو إشباعه توجه المعنى تجاه مصدر بعينه من هذه المصادر المتنوعة بشكل كلى أو جزئى، فيقوم الإنسان بتحويل أو توجيه مسار أنشطته إلى المصادر الآخرى الخاصة بنفس المعنى، أى يبحث الإنسان عن بدائل قريبة للمعنى ويتوجهه إليها لتستمر الدائرة التى لا تغلق ليس عند حد ارتباطات مصادر المعنى الواحد فقط ولكن بارتباط المصادرالمعانى المختلفة بعضها ببعض. وهذا يوضح الجانب الإيجابى من غيوم أو فقد المعنى لدى الإنسان عندما يدرك الفرد البدائل القريبة من المعنى بتوجيهه إليها، إذا لم يستطع الإنسان إدراك هذا التنوع فى المصادر، ولم يستطع التعامل مع هذه البدائل الموجوده أمامه واختيار المناسب له وتوجيه المعنى نحوه يحدث غياب أو عدم وضوح أو فقدان للمعنى "ويمكن تسميته بالجانب السلبى" من فقدان المعنى. وهذا ما يوضحه الشكل رقم (١١/٢)

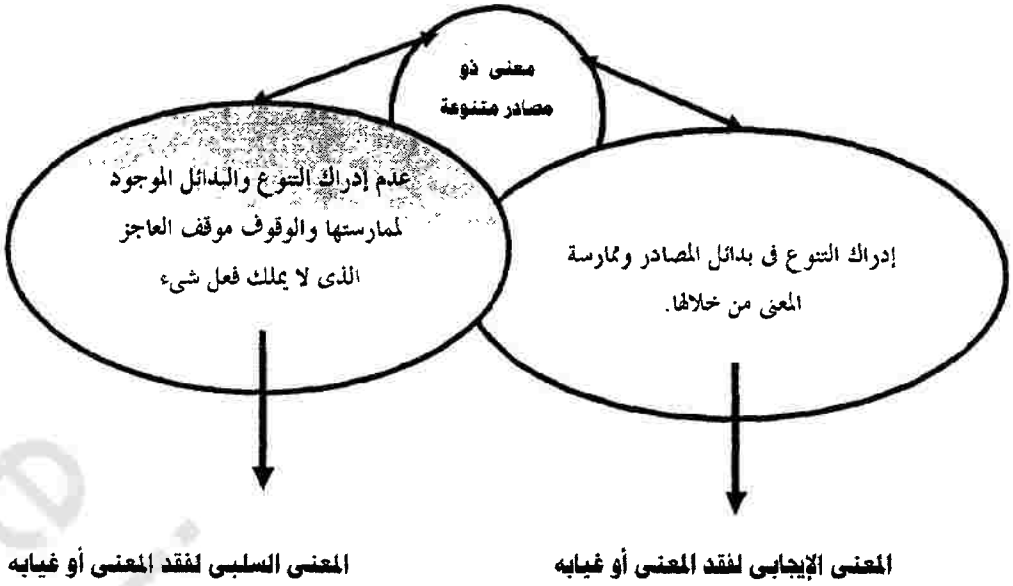

شكل (١١/٢) كيفية توجيه المعنى

ويتحقق المعنى لدى الإنسان إذا وجه المعنى إلى مصدر من المصادر المتنوعة التى يرغبها، بشكل دينامى متفاعل مع كل جوانب الإنسان الداخلية والخارجية. فإذا تعذر له ذلك وجّه المعنى إلى مصدر آخر من مصادر المعنى، ولتوضيح ذلك نفرض أن الحب هو المعنى الذى تكوّن لدى الإنسان، وليكون ذا تأثير فى حياته لابد وأن يوجّه هذا المعنى (الحب) لمصدر من المصادر التى تتفق وميوله والظروف المحيطه به وطبيعة شخصيته، ومن هذه المصادر: توجيه معنى الحب إلى "الله" فيَظهر التدين – أو لفرد بعينه (الحبيب – طفل) فيَظهر الحب الرومانسى، أو حب البنوة – أو يوجهه لشىء مادى أو معنوى العمل أو التشجيع فيظهر حب النجاح. وبالتالى يقوم الإنسان بإصدار كل الأنشطة والسلوكيات التى تعبر وتترجم هذا المعنى. للمصدر نفسه، فمثلاً إذا وجّه معنى الحب لشخص ما كالحبيب أو الإبن وحدث فَقْد لهذا المعنى بالضياع أو الموت – مثلاً – فإن الإنسان يسلك أحد طريقين الأول سلبى؛ إما أن يضطرب أو يكتئب أو يلجأ إلى طرق سلبية لمواجهة هذا الفقد، لأنه لم يستطع أن يدرك البدائل القريبة من المعنى ويوجهه إليها .

الطريقة الثانية إيجابية؛ ويكون لدى الإنسان تبصر بالبدائل الموجودة والقريبة من المعنى والتى من الممكن أن تكون بمثابة تعويض له عن هذا الفقد. ويختلف كل إنسان عن الآخر فى اختياره للبديل الذى يكون عِوضاً عن

المعنى المفقود أو الذى غاب عنه، ففى حالة فَقْد الحبيب مثلاً قد يتجه الواقع عليه ضرر الفقد إلى العمل أو المساعدة فى حل مشاكل المحبين . . . الخ أما حالة فقد الإبن فقد يتجه إلى العمل أو مساعدة أطفال أيتام أو التدين. . . الخ.

فعملية توجيه المعنى تعطى للمعنى صفة الدينامية والاستمرار والدخول فى دوائر متداخلة من العلاقات المتشابكة والتى تشمل جوانب متعددة من الحياة التى يعيشها الإنسان. وتتدخل فيها سياقات متعددة؛ منها ما هو مرتبط بالفرد ومهاراته وقدراته وميوله، ومنها ماهو مرتبط بالسياقات المحيطة بالفرد.

ح) فقد معنى الحياة لدى الفرد وأسبابه.

ماذا يحدث لو شعر الإنسان بالتهديد النفسى أو المعنوى كفقده للحب – للأمان – للأصدقاء. . . الخ) ؟ ماذا يحدث إذا تم تدعيم مصادر المعانى سلبياً أو إذا كانت المعانى غير متناسبة مع الفرد؟ ما تأثير الأحداث الضاغطة من ظروف وعوامل خارجية (معاناه – صراع – المرض. . . الخ) فى فَقْد أوعدم وضوح للمعنى ؟ ولتفسير هذا تقدم الباحثة تصور نظرى، وتوضحه فى الشكل رقم (١٢/٢)

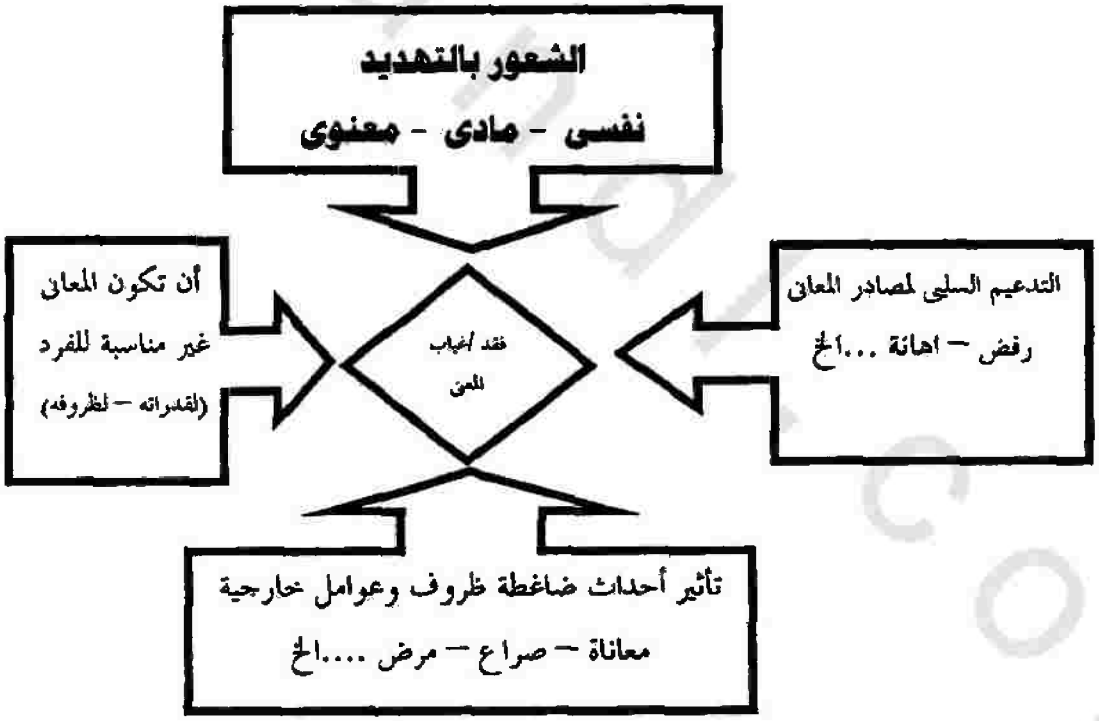

شكل (١٢/٢) يوضح أسباب فقد المعنى أو غيابه

فى مراحل عُمر الإنسان المختلفة يحدث فَقْد أو عدم وضوح لبعض المعانى فى حياته. ومن أهم الأسباب وراء ذلك الشعور بالتهديد النفسى على المستوى المادى أو المعنوى؛ فتهديد الأم أو أحد الأقارب الدائم للطفل مثلاً بتركه وحرمانه من حنانهم يفقده الشعور بالأمان وبالتالى لا يتضمن نظام المعانى لديه معنى الأمان؛ فيكون إما غائباً أو مشوشاً غير واضح المعالم عنده أو أن يفقده. فقد كشفت دراسة "حسان ويور" عن أن درجة التهديد، واللوم من أهم الأحداث الضاغطة التى مرت بالأطفال خلال الشهور الخمسة الماضية (وقت إجراء الدراسة)، وذلك فى دراسة على عدد (٢٠٠) طفل أعمارهم من (٩-١٢) سنة. (Hasan,Power,2004). بالإضافة إلى أن اتسام الأصدقاء بصفات الغدر وعدم الود وعدم المساندة فى وقت الشدة يُفقد الإنسان معانى الصداقة.

وكذلك التدعيم السلبى لأى مصدر من مصادر المعانى التى يقابلها الإنسان فى حياته كأن يعاقب كلما أصدر نشاط "فكرى /سلوكى / انفعالى" يعكس لديه معنى ايجابى؛ فمثلاً يعاقب أو يوبخ أو يهان بشكل دائم على تقديم المساعدة للغير أو عندالمحافظه على ممتلكات الغير، وعند قول الصدق، وعلى العكس مثلاً يكافأ على عدم تقديمه المساعدة للغير، وعند التخريب والإعتداء على ممتلكات الغير، أو تدعيم قول الكذب. . . الخ بالإضافة إلى الأحداث الضاغطه والعوامل الخارجية المؤلمة. كما أن تكرار المرض، وفقد المقربين، وكثرة المعاناة من المشاكل غير القابلة للحل قد يفقد الإنسان معنى السعادة، واحياناً عدم الرغبه فى الحياة نفسها. كل ماسبق يؤثر بشكل كبير على فقد أو غياب المعانى لدى الإنسان.

ومع ذلك فإن كل الأسباب السابقة على الرغم من كونها قد تسبب فقداً أو غياباً للمعنى إلا أنها قد تخلق معانى جديده إيجابية لدى الفرد، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى الفرد نفسه وما يمتلكه من قدراته وسمات شخصيته، تتناسب مع المعانى ومدى توافقها مع سياقه هو فإذا لم تتوافق المعانى مع قدرات وسمات الفرد فإنها تغيم أو تفقد، أما إذا توافقت مع سياقه وتكوينه النفسى فإنها تخلق لديه معانى أخرى جديدة. وقد وجدت صفاء إسماعيل (١٩٩٨) أن مواجهة الألم والمرض والموت من التجارب الفردية فى حياة كل إنسان مصاب، وردود فعل كل مريض تختلف عن الآخر فمنهم من يتحمل ويحمد الله ويدعو ربه للشفاء ومنهم من يعترض،وقد وجد "على وأخرون ٢٠٠٢" أن هناك ارتباط بين نمط ضغوط الحياه وبعد المعنى. (Ali, et, al. , 2002) كما نجد فى التراث ما يؤكد ذلك فى نظرية بناء وتوسيع الانفعالات الإيجابية لفردريكسون (١٩٩٨- ٢٠٠١) والذى يفترض أن الانفعالات الإيجابية تعمل كمكونات نشطه ضمن سمة المرونة، فقد تبين أن الانفعالات الإيجابية والتى منها: الاهتمام، والحب، والامتنان، قد تواجه الهجمات والأزمات التى تصادف الإنسان. وقد فُسرت العلاقه بين سمة المرونة وبين تطور الأعراض الاكتئابية وأيضا بين السمات قبل الأزمة ومدى نموها فى المصادر السيكولوجية. وقد أظهرت النتائج أن الانفعالات الإيجابية تزدهر بعد أحداث الصدمة، كما أن الانفعالات الإيجابية تحسّن من ظروف الذين يتعرضون للمصائب، وقد يرجع ذلك إلى وجود انفعالات إيجابية تظهر فى الموقف إلى جانب

الانفعالات السلبية. فعلى سبيل المثال درست الانفعالات الإيجابية والسلبية المصاحبة لأحداث الحادى عشر من سبتمبر، فإلى جانب انفعالات الخوف والقلق والحزن واهتزاز الإحساس بالأمان، ظهرت انفعالات إيجابية: كالإحساس بالأمان على الأقارب البعيدين عن الأحداث، ومشاعر التضامن التى تنشأ مع مشاركيهم فى الحدث، وإعادة صياغة للمشاعر الخاصة بعائلاتهم وبعلاقات الشخصية لتكون أكثر مودة وقوة (Barabara,et,al. , 2003) فعندما يمر الإنسان بأزمة شخصية يتجه إلى الأعمال ذات المغزى لاستعادة السيطرة والحالة الطبيعية لحياته، فهناك ارتباط بين فهم الفرد لذاته وكفاءته وبين الأعمال ذات المغزى، فالأزمة قد تتحدى قدرة الإنسان على العمل وتعطى له معنى للحياة. فقد وجد أنه يتم إعادة تكوين لبعض خصال الشخصية وإعادة صياغة وهيكلة للنفس للوصول للتفوق الذاتى. (Vikljan,Polgar,2001)

ط) تأثير فَقْد المعنى على سلوك الفرد:

لا يؤثر فقدان المعنى نتيجة للأحداث الضاغطة أو السلبية أو غيرها فى وجدان وسلوك الإنسان فقط بل فى الجوانب المعرفية أيضاً لديه سواء على نمو إيجابى أو على نحو سلبى، فقد تدفع الإنسان إلى محاولة لاكتشاف نفسه مرة أخرى واكتشاف معانٍ أخرى إيجابية يعيش لها وبها، وقد تدفع الإنسان إلى اللجوء إلى طرق أخرى سلبية قد تؤدى به إلى الانتحار المادى المؤدى للموت أو الانتحار النفسى ممثلاً فى الإدمان أو الانحراف.

وعند كثير من الأفراد يستطيعون تحمل تأجيل الإشباع أو الحرمان النفسى أو الاجتماعى والإقتصادى، ولكنه لا يستطيع أن يتحمل خلو الحياة من الهدف والمعنى – وإن كان إشباع الحاجات قد يكون عند بعض الأفراد هو المعنى وبالتالى يكون الهدف من الحياة لديهم هو إشباع الحاجات، كما عند الفرد الذى يجد متعته فى الطعام أو غيره – وعندما يكتشف الإنسان معنى حياته فإنه يصبح مستعداً لتحمل المعاناة. ولتقديم التضحيات حتى بحياته نفسها من أجل الحفاظ على هذا المعنى. وعلى العكس من ذلك، عندما تفقد الحياة معناها فقد يضطر الإنسان للانتحار، وهو يُقدم على الانتحار حتى لو بدت كل احتياجاته الآخرى مُشبعة. (عبد الرحمن سليمان، إيمان فوزى،١٩٩٩). فقد لاحظ "فرانكل" أن نسب الانتحار كانت مرتفعة بين طلاب بعض الجامعات الأمريكية، وأن الذين أقدموا على الانتحار– فى معظمهم– كانوا من الطلاب الذين ينتمون إلى أسر ميسورة وعلاقاتهم الإجتماعية طيبة وحتى مستوى تحصيلهم وأدائهم الأكاديمى كان طيباً إلى حد كبير. أى أن الظروف المحيطة بهم تبدو جيدة ولا توحى بأن هؤلاء الطلاب قد يصل بهم اليأس والإحباط إلى حد يدفعهم للتخلص من حياتهم. واتضح أن نسبة كبيرة من الناجين من محاولات الانتحار قرروا فيما بعد أنهم فعلوا ما فعلوا لأن الحياة لم تكن تحمل لهم أى معنى، وهى بذلك لم تكن حياة تستحق أن تعاش. فالإنسان إذن إذا لم ينجح فى اكتشاف المعنى الذى تنطوى عليه حياته، فإن هذه الحياة تصبح ضئيلة القيمة، ويصبح من العبث أن يجهد الإنسان ذاته فى تحمل مصاعبها. حيث تتحول يوماً بعد يوم إلى عبء ثقيل لاجدوى من الاستمرار فى مصارعته وقد كشف ميلانى ورونال (٢٠٠٣) عن أن التوافق مع الأحداث الضاغطة ووجود الغرض من الحياة يقلل من احتمالات حدوث

الانتحار لدى الأفراد (Melanie,Ronald ,2003). لهذا يدعو أنصار مدرسة فرانكل إلى تركيز الجهود حول مساعدة الإنسان على أن يكتشف بنفسه معنى الحياة، ويلخص هذا الموقف"ساهاكيان" بقوله:" المعنى موجود دائماً وفى كل مكان– حتى فى المعاناة. النوع الوحيد من المعاناة الذى لا يمكن احتماله هو ذلك الذى يبدو بلا معنى. فإذا لم تستطع أن تفهم أسباب معاناتك لن يتمكن من احتمالها. إن التعاسة فى حد ذاتها ليست شيئاً لا يمكن تحمله، ولكن غياب المعنى هو الذى لاتتحمله. والمعاناة التى لا يمكن تفاديها عندما تتحول إلى خبرة ذات معنى لا تصبح شيئاً يمكن احتماله وحسب، ولكن تصبح شيئاً مثيراً للهمم وروح التحدى. إذا كان لديك معنى للحياة فلن يكون هناك شيئ فى الحياة لا يمكن التغلب عليه ولن تكون هناك معاناة لا يمكن احتمالها (عبد الرحمن سليمان ،إيمان فوزى. ١٩٩٩).

يتضح مما سبق أن فقد المعنى له تأثيران على سلوك الإنسان:

ط/١ فقد المعنى الذى يولد معانى أخرى إيجابية.

ط/٢ فقد المعنى الذى يولد خبرات سلبية واضطراب.

ط/١ فقد المعنى الذى يولد معانى إخرى إيجابية :

تؤكد بعض الدراسات أن الأحداث السلبية الحادة من الممكن أن تنتج عنها نتائج إيجابية حيث إن الأفراد الذين يمرون بخبرات ومشاعر الفقد (لحبيب /لأب /لصديق) مثل هذه الخبرات المؤلمة تخلق لدى الكثير منهم معانى أخرى إيجابية بعد فترة من الفقد، وإيجاد تفسيرات بديلة للفقد ومحاولة إدراك أى فائدة لحياتهم . فقد تجعلهم يركزون على العلاقات مع بعض الأفراد القريبين منهم أو أن يغيروا من خطط حياتهم بشكل أفضل الأمر الذى ينتج عنه نتائج إيجابية فى الحياة. بالإضافة إلى أنهم يحاولون وضع معنى وتفسير للحدث (الفقد) فقد يرجعونه إلى إرادة الله باعتبار أن الموت بيد الله أو إلى أسلوب حياة المفقود نفسه؛ أى إلى الحياة التى كان يعيشها كأن يكون مدخناً مثلاً. وقد حاول العلماء دراسة هذه الظاهرة من جانبين الأول: لإلقاء الضوء على المعنى من وراء هذه الأحداث والثانية: معرفة الجوهر أى معرفة القيمة التى يضفيها الحدث على الحياة، وكيف أن هذه الأحداث قد تصنع معنى آخر للحياة. كما درسوا أيضاً العلاقة بين التأقلم والتهديدات التى تؤثر فى المعانى (الفقد) وكيف أن الفرد يحاول أن يجاهد هذه التهديدات ويحاول إعادة النظر فى الأهداف والخطط الموضوعة للحياة وجعلها فرصة للنمو وليست للهدم واستخدامها كإستيراتيجية للشخصية تساعد الإنسان على احترام ذاته وتقويتها كما تعتبر محاولة لفهم الذات بصورة أوضح. وهنا يدخل مفهوما التشاؤم والتفاؤل وارتباطهما بمثل هذه العلاقات والتأقلم، فالمتفائل تتكون لديه توقعات مناسبة لمستقبله أكثر من المتشائم. كما أن الاعتقادات الدينية أو الروحية لها تأثير مهم فى فهم الفقد، هذا بالإضافة إلى تدخل عوامل أخرى تزيد من إحساس الفقد كدرجة قرابة المفقود، فقد وجد أن فقد الطفل هو أصعب أنواع الفقد. (Chrislopher,Susan,1998) وجدير بالذكر أن الشعور بالفقد لا يقف عند حد الموت فقط فهناك أنواع أخرى من الفقد لها نفس التأثير، فنجد أن فترات العمر التى يمر بها الفرد قد تعرضه للشعور بفقد بعض المعانى مثل مرحلة الشيخوخة التى يعتبرها البعض

مرحلة فقد لمعنى الشباب والقدرة على الإنتاج لدى الإنسان، وقد تسبب القلق الأمر الذى بحثه علـم الأحيـاء الجديد- الذى يدرس الشيخوخة وكيفية تحسين نوعية الحياة فيها، والتخطيط لها بشكل أطول وأعمـق وأثمـر. وهنا وجد أن أن إمتداد قيمة الحياة تعتمد على أنواع الحياة والخطط التى يرسمها الأفراد، ثم تقييم حاجات امتداد الحياة لديهم، والتخطيط لها، ووضع حسابات لمدى تأثيرها فى قيمة الحياة التى تعتمد على الاختلافـات فى نـوع الحياة التى يحياها الأفراد، وبالتالى فى الخطط التى يخططونها لحياتهم، فاستمرار المستقبل مثلاً يتطلب مواصلة لنفس العلاقات المماثلة فى العمل والزواج، بغرض تحقيق أهداف معينة منها. أو أن تكون الأهداف مرتبطـة بالـدين والتعبد. وعلى أية حال فالأهداف قد تكون غير محددة وتختلف بإختلاف الأفراد وما يناسبهم. (Gems,2003) بالإضـافة إلى أن أهـداف الحيـاة والأنشـطة ذات المعـنى تزيـد مـن أنشـطة جهـاز المناعـة (People,Medical Society New Sleller. 2003) .

ط/٢ فقد المعنى الذى يولد خبرات سلبية وإضطراب :

يلجأ الأفراد الذين يفقدون معانى فى حياتهم إلى البحث عن أشياء تدمرهم، حيـث وجـد أن العامـل الأساسى فى الإفراط فى إدمان المخدرات هو الفشل فى خلق معنى أو غرض للحياة يعيش به الإنسـان، واعتـبره فرانكل محاولة للهروب بالأعراض العصابية والعدوان والاكتئاب والإدمان. فتوافر المخدرات أمام الإنسـان – أى سهولة الحصول عليها – ليس هو السبب الأساسى للإدمان، ولكّن جزءًا كبيرًا منه يرجع إلى تصور الفـرد عن الغرض من حياته، فتشير نتائج بعض الأبحاث إلى أن المدمنين تكون درجاتهم أقل على مقاييس الغـرض مـن الحياة عن غيرهم. (Neely, 1998) وتحكى لنا القصص المثيرة الواقعية الامبريقية كيف أن مجموعة مـن رجـال الأعمال سقطوا فى براثن الإدمان الكحول والمخدر بسبب اليأس وعدم وجود المعنى الذى بذلت جهود لمحاربتهم ومحاولة إيجاد معنى لحياتهم ومحاربة هذا اليأس، كما أن الأحداث المؤلمة – التى تمثل للفرد أزمة وجودية–والمعاناة– التى يعانى منها الأفراد– تأتى نتيجة لفقد المعنى ،ونرى تأثير ذلك واضحاً فى الشعوب التى تعرضت للغـزوات ، فقد أثبتت الدراسات أن هناك نتائج سـلبية لهـذا الغـزو ومنـها ازديـاد حـالات الاضـطراب النفسـى (احمدعبد الخالق،١٩٩٨)، مثل غزو العراق للكويت، وبتحليل ذلك نجد أنهم قد فقدوا معنى الأمان المتمثـل فى الوطن، وأصبحوا بعد أن كانوا أمنين مطمئنين فى حضن الوطن واجههم التهديد والتشتت ليس علـى المسـتوى المعنوى النفسى فقط ولكن على المستوى المادى أيضاً.

ويؤكد فرانكل من أن فقدان المعنى يؤدى إلى الخسارة والكآبة، ويعتبر المراهقون وكبـار السـن أكثـر الفئات إحساساً بهذه الكآبة والخسارة حيث إن المراهقين يعانون من الـدعم الضـعيف وقلـة الثقـة بـالنفس ومستقبلهم يبدو بائسا، وفى هذه الحالة من التوقعات السيئة لمستقبلهم يصبحون غاضبين وخـائفين وانتحـاريين حيث يتأملون الموت كالبديل إلى الإيجاد فى حالة من اليأس والحيرة. بينما كبار السن يجدون أنفسهم بعد التقاعد أنهم خسروا العديد من النشاطات الاجتماعية، ويجدون أنفسهم بلا غرض حقيقى للحياة. وقد يواجه الأفـراد اليأس بالمخدرات كعزاء مؤقت لهذه الحالات. والعلاج والحل فى البحث عن المعانى الجديدة واكتشافها وإعـادة

هيكلة الحياة فإدراك أهمية المعنى للحياة تعدل العالم من حولنا وتؤثر بالتالى فى صحتنا النفسية والجسمية. (Ashbyw,et. ,al, 2002)

فالإنسان إذن- فى ضوء التصور الإنسانى- لا يسعى فقط لإشباع غرائزه أو لتهيئة أفضل ظروف إجتماعية يعيشها. لأن هذا وحده لا يسعده ولايرضيه. ولكنه يهتم أساساً بأن يكون هناك معنى ومغزى لحياته، وهدف وقيمة يتوجه إليهما. وفى ضوء هذا المعنى وتلك القيمة يجد الحياة- بكل ما تحمله من كبد ومعاناة- تستحق أن تعاش. فبحث الإنسان عن معنى لحياته قوة أولية فى حياته، وليست تبريرا ثانوياً لدوافعه الغريزية، وهذا المعنى متفرد وخاص ويجب أن يصل إليه ويحققه الشخص نفسه وبهذا فقط تتحقق أهميته. وهناك بعض الكتاب يؤكدون أن المعانى ليست إلا عمليات نفسية دفاعية وتكوين رد فعل وتسامٍ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يموت الإنسان فى سبيل مثله وقيمه"(محمد عبد الفتاح، ٢. . ٢، ٨٤) فبحث الإنسان عن معنى الحياة بحث عن الوجود(Tom, 2002).

ى) الخبرات والمعانى :

يمر الإنسان بالعديد من الخبرات النوعية ذات القيمة، وتكون مرتبطة بكل ما يتصل بحياة الإنسان: بالتفكير، والسلوك، والوجدان، والنوم،والتعليم، والزواج، والحب، والكره، والعدوان، والمرض، والصراع...الخ حيث يمر الفرد بالعديد من هذه الخبرات التى تمر عليه من خلال المواقف الحياتية المختلفة. وقد تؤثر هذه الخبرات فى الفرد ويكون من خلالها معانى لحياته التى يعيشها ويتبناها فى كل مواقفه، ويؤثر فى ذلك نوعية الخبرات التى يمر بها والتى تتأثر بمدى تعميمها وتكرارها وقوة تأثيرها، وطوال حياته يعيش متفاعلاً مع كل ما يحيط به من أفراد / البيئة /الثقافة /القيم /العادات ... وهذه الخبرات لها أثر كبير فى تحديد سلوكه الذى هو نتاج عمليات معرفية وأحكام ومعانٍ قد يكونها من خلال مروره بهذه الخبرات وظروف حدوثها- والطريقة التى تحدث بها، وارتباط هذه الخبرة بالفرد، وتكوينه النفسى ويزيد من قوة هذه الخبرات أن تكون متكررة وتكون شديدة التأثير. وتنقسم الخبرات التى يمر بها الفرد إلى نوعين :

خبرات إيجابية مثل المرور بخبرات الشعور بالحب – الفرح – الزواج – استقبال الأطفال – النجاح – المكسب المادى – الشفاء – الشعور بالأمان والاستقرار.... الخ.

خبرات سلبية مثل شعور الفرد بفقد الحب أو فقد انسان عزيز– المرور بخبرات الفشل، الخسارة، الطلاق، المرض، الصراع، المعاناة...الخ.

وكلا النوعين يكونا مؤثرين فى تكوين أو فقد المعانى. وطبيعى أن تكون الخبرات الإيجابية مؤكدة للمعانى الإيجابية الخاصة بالفرد فمثلاً إذا كان دائماً يمر بخبرات متكررة من خلال مواقف تعطى له شعور بأنه محبوب ويحب فإن معنى الحب سيكون ضمن تكوينه النفسى. وكذلك الحال بالنسبة لخبرات النجاح والاستقرار.... الخ

إلا إذا كان هذا الشعور "شعور الفرد بأنه محبوب" زائفاً أو زائداً عن الحد بشكل يعطى صورة مخالفة للحقيقة فيصل بالفرد إلى الغرور أو الاستهتار أو الاستهانة بمشاعر الآخرين. وعلى ذلك فإن الخبرة نفسها وكيفية حدوثها وظروف حدوثها قد تؤثر بصورة سلبية حتى وإن كان فحواها إيجابياً وهو إشعار الفرد بأنه محبوب.

ونجد هذا أيضاً فى الخبرات السلبية المتمثلة فى:- الصراع-المعاناة- الفقد فرغم أنها خبرات سلبية فقد تخلق معانى إيجابية لدى الفرد، ففقد الحبيب مثلاً قد يؤدى بالمحبوب إلى أن يصر على النجاح فى جانب آخر من حياته، فيبحث فيها ليكشف جانب آخر من حياته غير الحب يستطيع أن ينجح فيه. حتى يثبت لحبيبه أنه ما زال موجوداً وناجحاً وأنه يستطيع أن يعيش وينجح بدونه. وأيضاً عند فقد شخص عزيز بالموت فقد يخلق لديه معنى إيجابياً آخر كزيادة الإيمان بالله والتقرب منه مثلاً لعل ذلك يجعله ينال ثواب الصبر ويتعمق فى الدين كى يصل إلى المعانى الأسمى للحياة. والذى يصارع المرض ويعانى منه قد يجد فى صراعه ومعاناته معانى أخرى غير معاناة الألم وهى الإصرار على الحياة والبحث عن معانٍ أخرى يستمدها من حياته كحب الآخرين له والعدل، والصدق، والتحدى إلى آخره.

ونجد ذلك مع من يُحرم من حريته فى السجون مثلاً فإن منهم من يحاول أن يجد وسط هذه المعاناة سبلاً وطرقاً أخرى للحياة، فنجد من يحاول إكمال تعليمه داخل السجن أو يتعلم حرفة أو يتزوج أو يتدين. وتدعم بعض البحوث الفكرة القائلة بأن أحداث الحياة الضاغطة يمكن أن تكون محفزة لتغيرات نفسية إيجابية تكون لها تاثير مفيد فى الصحة الطبيعية بشكل عام، بالاضافة إلى تأكيد أهمية اكتشاف المعنى والمعالجة الإدراكية وتشير الدراسات من أن الأفراد الذين يكتشفون معنى إيجابياً بعد المرور بالحدث المؤلم أظهروا تغيرات إيجابية ليس فقط على المستوى النفسى ولكن أيضاً على مستوى الصحة والمناعة، فمن الممكن أن تكون الفكرة القائلة بأن الأحداث الضاغطة أحداث محفزة تخلق تغيرات نفسية إيجابية. وقد استخلصت هذه النتائج من خلال تقييمهم للحدث والمعالجة الإدراكية للمواقف مرة أخرى (والمعالجة الإدراكية هنا هى عملية تنشيط تستدعى الأفكار والمشاعر ونتائجها على الحياة والمستقبل) واكتشاف المعنى (واكتشاف المعنى عرف على أنه: عملية تغيير رئيسى فى أولويات القيم أو المنظور (الرؤيا) رداً على الخسارة الحادثة) وكيف أن لها أثراً ايجابياً على الصحة العامة بشكل عام بالاضافة إلى التأثير الايجابى على جهاز المناعة فقد ظهر ذلك من متابعة مجموعة من الأفراد لمدة تسع سنوات. (Edower, et. al,1998)

كما يؤكد ليث Leath, 1999 هذه الوجهة من النظر حيث يرى أن إدراك الفرد لما يمر به من خبرات حياتية يؤثر فى تكوين المعانى لديه ويرى أنه يلزم لتقدير خبرات المعنى لدى أى فرد أن يؤخذ فى الإعتبار كم الفرص المدعمة انفعالياً التى يدركها الفرد من حيث الكم والتنوع . والى أى مدى يبحث الفرد عن هذه الفرص المدعمة. ومدى استمرارها أو استقرارها، وكيف تتكرر(Leath,1999).

ك) الجوانب الوجدانية فى تكوين المعانى :

تلعب الجوانب الوجدانية دوراً أساسياً فى تكوين المعانى، فالفرد يكتسب الأفعال التى ينفعل بها حباً أو كرهاً، ولا يكون لها دلالة إلا إذا إنفعل بها، فالانفعال يضفى دلالةً على الشىء المكتسب وبالتالى على المعنى كما أن الفرد لا يستطيع أن يُكون أى اتجاه نحو أى موضوع إلا إذا كان له جانب وجدانى. ومما هو جدير بالذكر أن مشاعر الإنسان قد لا تُلاحظ مباشرة، وإنما أن نستدل عليها من السلوك الظاهر، ومن الحديث عنها بالاستبطان ومن الممكن أن ننظر إلى الانفعال بوصفه خبرة شعورية. وقد استخدم منهج الاستبطان على نطاق واسع لتعرّف على المكونات الأساسية للخبرات الانفعالية وتحليلها . (محمود الزيادى، ١٩٨٠ ، ١٩٦، ١٩٧) . وهذه الخبرات الانفعالية التى يمر بها الفرد لا تدخل ضمن السياق الخاص بالفرد إلا إذا دعمت انفعالياً. وتراكم هذه الخبرات الانفعالية المدعمة يساعد الفرد على تكوين المعانى لدى الفرد، فالذى يدعم المعنى لدى الفرد، هو إدراكه لمثل هذه الفرص التى تدعم الخبرات الانفعاليه عنده، سواء كانت هذه الخبرات سعيدة أم بائسة المهم هنا أن تكون خبرات انفعالية محفزة. أى أن تكون الخبرات مكافئة للفرد انفعالياً، ولذلك فهو يعمل على تكرارها أو تكرار السلوك الذى يؤدى إليها ليحصل على التدعيم الإنفعالى. وليتكون المعنى لتكرار هذه الخبرات والتى لابد أن تكون لها مواصفات خاصة كأن تكون متكررة ولها درجة من الشده والتأثير. وأن تكون مكافأة للفرد انفعالياً.

ومن المهم أن تكون هذه الفرص محفزة للفرد بغض النظر عن الإيجابية أو السلبية فى الانفعال التى يدركها الأفراد والخاصه بالخبرات المكافئة للفرد من الناحية الانفعالية والتى ترتبط بالانفعال مثل الكره أو الحب ولكن التحفيز عن طريق الحب يكون مؤثراً أكثر من التحفيز عن طريق الخوف أو الكره؛ لأن كل من الكره والخوف يدفعان الناس للهرب من الخبرة المرتبطة بهما.

ويؤكد كولين (خلال ما عرضه لمقياسه لقياس) الطريقة التى يدرك بها الفرد الفرص التى تدعم الخبرات الانفعالية ((Percpetion of Opportiunties For Rewording Emotional Experience POREE) والتى يجعل الفرد يبحث عن الخبرات المكافأة له انفعالياً، والعمل على تحقيق وإنجاز وتكرار مثل هذه الخبرات المكافأة انفعالياً. (Leath,1999)

ل) الجوانب العقلية والمعرفية وتكوين المعانى :

مما لا شك فيه أن للجوانب العقلية والمعرفية دوراً مهماً فى تكوين المعانى لدى الأفراد حيث أن الفرد يمر بالأحداث والمواقف التى يدركها ويفسرها وفقا لطبيعة قدراته، ويكتسب من خلال بعضها المعانى الخاصة به كالنجاح أو الفشل – الحب أو الكره، وهنا يختلف الأفراد فى تكوينهم للمعانى وفقاً لقدراتهم المعرفية. ولكى يتكون المعنى لا بد من وجود الفرد الذى يتكون عنده المعنى وكم من المدخلات التى تدخل ضمن حيز الفرد والتى تتنوع بين خبرات وثقافات ومعارف . . . الخ ، مع مراعاة الفترة الزمنية التى يمر بها الفرد. وتلعب عملية

العزو دوراً مهماً فى عملية تكوين المعانى حيث يعزو الأفراد كل ما يكتسبونه ويحصلون عليه من نماذج وخبرات على مدار الحياة.

ويفسر كيلى (وهو أحد المؤسسين لنظرية العزو) العزو من خلال ثلاثة عوامل :هى الأفراد، والمدخلات، والنماذج الزمنية وترتكز هذه النظرية على مفهوم التغاير Covariance ويعتمد هذا النموذج على ملاحظة التأثير بين المثير الخارجى والفرد الملاحظ والموقف الذى يحدث فيه السلوك، وتتلخص هذه النظرية فى أن تفسير السلوك يتم من خلال ثلاثة عوامل هى الأفراد والمثيرات والنماذج. ويتوقف عزو الأفراد فى وقت معين على إدراك درجة إتقانها مع استجابات معينة وعلى تميزها عن استجابة الفرد لمثير آخر. ومن المسلمات الأساسية فى نظريته أن وجهة نظر الإنسان فى العالم الذى يحيط به يكون هو الأساس الذى يحاول استخدامه باستمرار لتفسير ما يحدث حوله، وبهذه الطريقة فإن الإنسان يفسر أو يعيد تفسير عالمه الخبرى الخاص به. (ديتش تشايلد،١٩٨٣، ٢٥٥)

وقد حاول كيلى فى نظريته التقريب بين وجهات النظر السلوكية والحدسية والاستدلالية للشخصية من خلال نظرة الفرد فى العالم الذى يحيطه بحيث تكون هى الأساس الذى يحاول استخدامه باستمرار لتفسير ما يحدث من حوله، وبهذه الطريقة فإن الفرد يفسر عالمه الخاص به من خلال العمليات التى يقوم بها الفرد لتشكيل توقعاته للحوادث التى يمر بها وتعتبر نظريته من النظريات التى حاولت فهم السلوك الإنسانى على أنه رد فعل للمثيرات. ويتضح من النظريات الثلاث اقتراح وجود عملية عقلانية منطقية تتم من خلال تجميع المعلومات فى اتساق يؤدى إلى عملية العزو. وقد أجريت عدة دراسات لمعرفة ما إذا كان هذا التحيز نتيجة لدافع من جانب القائم بعملية العزو كى يشعر بالراحة ويظهر بالمظهر الطيب أمام الآخرين أم أنه نتيجة قصور معرفى من جانبه فى الانتباه وتشغيل المعلومات. (فاروق عثمان،٢٠٠١، ١٢٠ -١٢٣)

ومن هنا تتضح أهمية إدراك الفرد للأحداث أو الخبرات والطريقة التى يفسر بها لنفسه هذه الخبرات، وبالتالى أهمية الجوانب المعرفية التى تعتمد عليها نظرية العزو والتى تعتبر من العمليات الأساسية فى تكوين المعنى حيث أن الفرد لا يتبنى معنى ما قبل أن يكون قد مر بهذه الخبرات، وقام بمثل هذه العمليات المعرفية.

م) معنى الحياة وبعض العوامل الديمجرافية

م/١ معنى الحياة والفئات العمرية المختلفة :هل تختلف المعانى بإختلاف مراحل العمر؟

تختلف نوعية المعانى التى يتبناها الأفراد لحياتهم باختلاف المراحل العمرية ويرجع ذلك إلى اختلاف متطلبات ومحددات كل مرحلة عمرية. فمثلاً مرحلة آخر العمر يكون معظم الأفراد قد حققوا أهدافهم وزوجوا أبنائهم وأنهوا فترة عملهم وبالتالى تكون هناك متطلبات أخرى تختلف بالطبع عن باقى المراحل العمرية الآخرى

المراهقة والرشد مثلاً. والارتباط هنا بين المعنى والهوية أو أزمة الهوية هى عملية بحث عن المعانى أو مصادر أخرى للمعانى يستطيع الفرد أن يضع بها لحياته أهدافا يحققها من خلالها ليرضى عن حياته ونفسه ويعيش فى سلام.

وعلى الرغم من أن العلماء يربطون بين أزمة الهوية ومرحلة المراهقة إلا أن الباحثة قد نجد هذه الأزمة موجودة فى مراحل مختلفة من العمر كأزمة منتصف العمر والتى تحدث إذا ما تسببت الأزمة فى فقد أو عدوم وضوح لما حققه الفرد من أهداف فى حياته. وقد تندلع أزمة منتصف العمر بقوة عند من لم يحقق هويته فى مرحلة المراهقة، وفى بداية حياته العملية، فالأسئلة الوجودية التى لم يجب عليها فى مرحلة المراهقة فجأة تظهر وتتطلب الإجابة عليها فى منتصف العمر. وقد وجدت مايسة النيال أن بعض الرجال الذين يعانون من هذه الأزمة يراجعون أنفسهم عن كل ما حققوه فى حياتهم وهل يرضون به أم لا وتحدث الازمة (مايسة النيال، ١٩٩٨). ويؤدى ذلك لعدم وضوح المعنى فى حياتهم فإذا كانت نتيجة المراجعة غير مرضية،وبالتالى يبحث عن مصادر أخرى للمعانى يستقى منها أهدافه ويعيد ترتيب حياته مرة أخرى، وإن لم يجد فيكون عدم الرضا عن الحياة هو النتيجة.

هذا المعنى للحياة يكون له قيم وإطار عمل ونظام وعلاقة تتشكل من خلال إدراكاته التى يملك من خلالها بعض الأهداف فمعنى الحياة بمفهومه الشامل يتضمن جميع الخبرات السارة وغير السارة والتى يمر بها الفرد، التى تظهر فى صورة السلوكيات والاستجابات للمثيرات المختلفة فى البيئة والمجتمع وتعتبر فى مجمله دلائل ذات مغزى لتأصيل حياة الفرد فى مجتمعه. ويؤكد مايكل كروث Michael Kroth على أهمية فهم العلاقة الإرتباطية بين مهمة الفرد فى الحياة وشعوره بمعناها. ومن يمتلك الأهداف التى يكافح من أجل تحقيقها، ومن يضع لنفسه مفهوما إيجابياً لمعنى الحياة يدرك حياته باعتبارها ذات صلة بالحيوية ومشاعر الإمتلاء.
(خيرى حسن، حسن علام، ١٩٨٩)

ويشير "جيجير,Geiger وآخرين " ٢٠٠٤ أن العمر عامل هام وفى تحديد مستويات الفرض من الحياة من دراسته على الطلبة(أعمارهم أقل من ٢٥ سنه فأكثر (Geiger, *et. ,al*,2004) كما كشف جرى ريكر Gary T. Reker (٢٠٠٥) فى دراسته لمعنى الحياة مجموعات عمرية مختلفة، أن لكل عمر نموذج من المعانى الشخصية مختلفة عن العمر الآخر. (Reker,2005).

كما وجد ريكر وآخرون أن هناك دلالات إحصائية ترجع للعمر الزمنى فى أربع متغيرات من معنى الحياة. وهى: البحث عن الأهداف، ومعنى المستقبل وتقبل الموت وأعراض الحياة ولم يظهر تأثير دال للعمر فى المتغيرات الثلاثة الآخرى وهى الخواء الوجودى والتحكم فى الحياة والرغبة فى معرفة المعنى ، كما وجد نامى (Niemi ,1984) أن طلاب المدرسة الثانوية عكسوا بوضوح معنى كبير للحياة وأظهروا إهتماماً للإجابة عن الأسئلة الوجودية. وجد عبد الباسط متولى ١٩٩٧ فروقاً جوهرية ترجع للعمر الزمنى فى المراحل العمرية.

وأكدت "بارتور ،وسافايا"٢٠٠١، التأثير العامّ للعمر: حيث وجدت فروقاً فى مصادر المعنى في الحياة بين المجموعتين العمريتين (٢٠–٤٠ سنة) و (٦٠ سنة فأكثر) في أغلب المناطق.

وقد كانت بعض من مصادر المعنى أكثر أهميّة للراشدين الأصغر (مثل : الاهتمامات المادية)، بينما وجدت المؤشرات الآخرى كانت أكثر أهميّة للراشدين الأكبر سنّا (مثل، القيم العائلية والعامة). ولم تكن الفروق بين المجموعات العمرية ثابتة فقد تم تعديلها عبرالجماعة العرقية. لذلك تبرز الفروق العمرية بين الراشدين الصغار والكبار فقط في مجموعة عرقية واحدة، أو كانت درجتها أعظم في مجموعة عرقية واحدة عن الآخرى. (Bar-Tur & Savaya, 2001)

م/٢ معنى الحياة والنوع: هل تختلف المعانى بإختلاف النوع؟

سبق الحديث عن تكوين المعنى والسياقات التى يتم فيها تكوين المعانى لدى الفرد وتبين منها أهمية عمليات التنشئة الاجتماعية فى تحديد مهام الأدوار التى تلقى على عاتق كل من الفتاة والفتى، بل وتحدد من جانب آخر لهم الهدف المطلوب منهم تحقيقه فى الحياة. من هذا الجانب لابد من أن يختلف الذكور والإناث فى تبنيهم معانى لحياتهم وذلك لاختلاف الأهداف التى يرسمها لهم المجتمع الذى يعيشون فيه والذى يتحكم فيه الأسرة وتقاليدها وأعرافها. وقد أكدت بعض البحوث على إختلاف المعانى بينهم ((Reker, 2005). فقد وجد هولمان فروقاً ذات دلالة إحصائية راجعة للنوع وذلك فى أهداف الحياة لصالح الرجال كانوا اكثر وضوح للاهداف وأكثر تحقيقاً لها من النساء. كما وجد عبد الباسط متولى فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث على متغير معنى الحياة لصالح الذكور.

وهناك فروقاً بين الذكور والإناث فى مواجهة الحياة وظروفها وأساليب وطرق مواجهتها وحتى فى درجة الإحباط التى يصابون بها فى حالة فقد المعنى فى حياتهم. فقد كشفت دراسة ادوارذ، وهولدين (٢٠٠٣) من أن معنى الحياة (كمنبئ إحصائى) له تأثير مهم فى مواجهة الانتحار ويختلف الذكور والإناث فى ذلك. فقد كشفت التفاعلات الإحصائية التى أجريت على الذكور والإناث على متغيرى إحساس التماسك والتأقلم التنبؤ ومع متغيرات الانتحارارتبطت بكل أنواع الانتحار(فكرة – الماضى المستقبل) لدى النساء، بينما ارتبط فقط بفكرة الانتحار لدى الرجال. (Edwards&Holeden,2001)

م/٢/١ دور النوع وتأثيره على المعنى طول فترة الحياة:

أدركت النظريات الارتقائية حالياً تأثير النوع على ارتقاء الأفراد على مدى العمر، والارتقاء الانفعالى، المعرفى، الوظيفى الفريد للنساء وترجع هذه الفروق ليس فقط الارتقاء الفزيولوجى والنفسى الخاص للنساء، ولكن أيضاً بدرجة عظيمة من بيئتهم الثقافية والاجتماعية. وتقترح الدراسات الطولية المتوفرة أن النساء والرجال قد يسلكون طرقاً مختلفة تماماً للوصول لأساليب متكاملة وناضجة للتوافق والدفاع، ونظراً لأن الفروق بين الرجال

والنساء طوال فترة الحياة تتعلّق بقوة بالثقافة والبيئة الاجتماعية وتأثيرها على أدوار وهوية النوع، فالإختلافات الجنسية تكون أكثر وضوحا فى المجتمعات التقليدية عن المجتمعات الحديثة(Bar-Tur & Savaya, 2001).

ولم تجد "بارتور ،وسافايا" ٢٠٠١ ، فروقاً تقريبا بين الرجال والنساء في مصادر المعنى في الحياة فى دراستهما للتأثير العامّ للنوع. فقد كان للنوع تأثيراً رئيسياً دالاً على واحد فقط من الـ١١ من مصادر المعنى في الحياة: فمصاحبة الحيوانات كانت أكثر أهميّة للرجال عموما عن النساء. ووجد للنوع تأثيره فى منطقتين أخرتين، معدلة بالجماعة العرقية (دلالة النوع x تفاعلات الانتماء العرقى على مؤشرات ٩ و١١) وبالعمر (النوع x تفاعل العمر على مؤشرات ٩ و١١). بين اليهود، كانت نشاطات وقت الفراغ مع الآخرين مصدر أكثر أهميّة للمعنى بالنسبة للنساء الأكبر سنّا من للنساء الأصغر وللرجال الأصغر من الرجال الأكبر سنّا. وكانت نشاطات وقت الفراغ مع الآخرين مصدراً أكثر أهميّة فى المعنى للرجال من النساء بين العرب، (فى المجموعتين العمريتين) وللصغار مقارنة بالمسنين بين الجنسين (Bar-Tur & Savaya, 2001)

ج- نوعية الحياة Quality Of Life

يتأثر تكوين المعانى بنوعية الحياة التى يعيشها الفرد ومدى إدراكه لهذه النوعية من الحياة التى يعيشها. من حيث جودتها وطبيعتها، وطبيعة الأعمال التى يؤديها والظروف المحيطة به،ويرتبط مفهوم جودة الحياة بعدة مفاهيم نفسية كالحاجات، القيم، الإدراك الذاتى، الاتجاهات، الطموح، التوقع ، الرضا ، التوافق ، الصحة النفسية . وفى واحدة من أحدث الدراسات – التى اهتمت بنوعية الحياة لدى الأطفال كما تشير اليها تقديراتهم لمستوى الرضا عن الحياة وتقدير الذات قام هوبنر Huebner (١٩٩٩) بتطبيق كل من استبيانة " وصف الذات " self description (SDQ-11) ، " ومقياس الرضا عن الحياة " Life Satisfaction Scale وأشارت نتائج التحليل العاملى إلى وجود اختلاف بين الأطفال على هذه المقاييس . (العارف بالله محمد الغندور ،١٩٩٩) .

اختلفت الأطر النظرية التى تنظر لمفهوم نوعية الحياة، واتخذت بذلك عدة زوايا: اجتماعية وأنثروبولوجية ، نفسية ، طبية . (العارف بالله محمد الغندور ،١٩٩٩) وقد ربطت الدراسات الحديثة بين المعلومات الخاصة بنسبة الوفيات (Mortality) ،والمعلومات المرتبطة بنوعية الحياة (Quality of life) . ووجدوا أن الاستمرار على العلاج الطبى لنوعيات معينة من الأمراض كضغط الدم وأمراض القلب والسرطان تحسن من نوعية الحياة، وهناك عدة مناحٍ لقياس نوعية سنوات التكيف النوعى الحياة (Quality-adjusted life-years) ،منها : هذا المنحى الذى يجب أن نتبع فيه عدة خطوات هامة ،أو أن نصنف الأمراض طبقاً لمستويات وظيفية موضوعية ،وهذه المستويات تقاس بعدة مقاييس مثل مقاييس : نسبة الوفيات Mortality ،ومقاييس النشاط الفسيولوجى Physical activity ،ومقاييس الأنشطة الاجتماعية social activity . ثم يتم وضع هؤلاء الأفراد الذين تم قياسهم بالمقاييس الموضوعية السابقة على متصل متدرج تتراوح درجاته من (. –١٠) ويسمى " التوظيف الأمثل والموت optimum function and death،وبعد ذلك يحدد موضع الأفراد على هذا المتصل.

(McCabe,Prielee,2002Kaplan,2001,522-524) ، فضلاً عن أثر المساندة الاجتماعية ،وأهمية الشبكة الاجتماعية فى تخفيف الأثر المؤذى للضغوط على المعنى والصحة والتى تساعد كبار السن على التأقلم بإيجابية أكثر مع الضغوط وذلك بتعديل إحساسهم بالمعنى فى الحياة وهذه الملاحظات تؤدى، وهذا يعطى الفرصة الباحثين للتدخل وتحسين نوعية الحياة التى يعيشها هؤلاء الأفراد. (Neale,2004)

وعموماً فإن نوعية الحياة بالنسبة للفرد تعبر عن مجموعة المطالب والحاجات التى يؤدى إشباعها أو توفيرها بشكل كامل إلى جعل الفرد سعيداً أو راضياً، فلابد أن نعى أن المسألة لم تعد أرقاماً وإحصاءات وإنما استجابات ومشاعر ، وذلك لأن مؤشرات نوعية الحياة تهدف إلى استجلاء العائد والمردود النفسى للظروف المعيشية للأفراد ، والتى تتشكل من خلال الإحساس الجمعى المتأثر بقيم وثقافة المجتمع الذى يقدر أشياء دون غيرها وفقاً لقيمه وثقافته التى تختلف بالتأكيد من مجتمع لآخر بل من فئة اجتماعية لأخرى، كما تتغير عبر الفترات الزمنية بنفس الشكل(هناء محمد الجوهرى، ١٩٩٦) . والذى يهمنا هنا تناول الجانب النفسى لنوعية الحياة، وتتمثل فى كيفية التعبير عن الإدراك الذاتى للحياة،لأن هذا الإدراك الذاتى يؤثر على تقييم الفرد للمؤشرات الموضوعية للحياة ،كالدخل والمسكن والعمل والتعليم ...الخ ،كما أنه يمثل فى أحد مستوياته انعكاساً مباشراً لإدراك هذا الفرد لجودة الحياة التى تتوقف على مدى أهمية هذه المتغيرات بالنسبة الفرد، فى وقت محدد وفى ظل ظروف معينة ، ويؤثر كل ذلك بوضوح على سعادة الفرد أو شقائه، (العارف بالله محمد الغندور، ١٩٩٩).

وهناك عدة أسئلة فى هذا الموضوع طرحها الباحثون – فى هذا الموضوع منها: " هل العوامل الموضوعية (المؤشرات الاجتماعية/ اقتصادية العامة كالدخل – السكن ...الخ) أو الذاتية (إدراك الفرد لهذه المتغيرات،وشعوره بالرضا ،أو عدم الرضا عنها) هى الأرجح فى تحديد رفاء الأفراد ؟ وهل المؤشرات الذاتية لا يمكن تحجيمها أو تبديلها بمؤشرات موضوعيه تنوب عنها ؟ وقد شغلت هذه الأسئلة المهتمين بدراسة نوعية الحياة منذ زمن طويل – ومازالت تشغلهم إلى اليوم – دون أن يستطيعوا التوصل إلى إجابات محددة أو قاطعة. فيجب أن تراعى وضع الاعتبارات الذاتية فى إطارها الكلى المتكامل بمعنى التعرف على تأثير أى زيادة أو تحسين فى الظروف الموضوعية على درجة الرضا الذاتى. (هناء محمد الجوهرى، ١٩٩٦). هذا بالإضافة إلى ما أضافه علم الأحياء الجديد للشيخوخة من تحسن لنوعية الحياة لكبار السن، والنتائج الاجتماعية المترتبة على زيادة فترة الحياة الإنسانية (بمشيئة الله)، والتى قد تسبب قلقاً فى التخطيط لفترة عمر أطول. فتجعل الأفراد يخططون لحياتهم بشكل أطول وأعمق وأغنى. فامتداد قيمة الحياة تعتمد على جودة المعيشة والخطط ثم تقييم حاجات امتداد الحياة والتخطيط لها ومدى تأثيرها فى قيمة الحياة نفسها، والتى تختلف باختلافات هذه المعيشة التى يحيونها، وبالتالى على الخطط التى يخططونها لحياتهم، وتتطلب منهم مواصلة نفس العلاقات المماثلة فى العمل، وتحقيق أهداف جديدة كالزواج، والأطفال، والترقى، والترحل، أو أن تكون أهداف دينية كالتعبد، فالأهداف على أية حال قد تكون غير محددة. (Gems, 2003)

القسم الثالث: الشخصية ومتغيراتها

أ) تمهيد :-

ب) نموذج العوامل الكبرى للشحصية "الوعاء الدولى للبنود".

ج) نموذج السمات المكونة لأبعاد ايزنك "بعد صلابة – مرونة التفكير

د) بعض متغيرات الشخصية

د/١ وجهة الضبط

د/٢ الوحدة النفسية

د/٣ قوة الأنا

هـ) معنى الحياة والشخصية

obeikandi.com

القسم الثالث: الشخصية ومتغيراتها

تمهيد:

ترى الباحثة أن من يدرس معنى الحياة لا يمكنه – بأى حال من الأحوال – إغفال الشخصية كجانب مؤثر وأساسى فى بناء وتكوين المعانى لدى الأفراد، كما يجب أن يؤخذ فى الإعتبار عند تفسير اختلاف الأفراد فى تبنيهم لمعانٍ دون غيرها. ومن المعروف أن جانباً كبيراً من الشخصية يتكون عبر سنوات الحياة، ومن الخبرات والمؤثرات والمواقف التى يتعرض لها الفرد، لذلك فلكى نتعرف مدى ارتباط المعنى بالشخصية فإنه ينبغى النظر إليها من خلال السياقات المتعددة التى يُفعلها ويتفاعل معها الإنسان، والتى تتضمن خصائص الثقافة والتى قد تولد أو تهمل خصائص ما من شأنها أن تخلق معانى دون غيرها. وتتفاعل الشخصية (بجوانبها المختلفة البيولوجية والنفسية والاجتماعية) مع خصائص الثقافة التى من آلياتها عمليات التنشئة الاجتماعية، لتكون نسقاً أو نظاماً للمعانى خاصاً بالأفراد. يختلف من ثقافة إلى أخرى. فهناك مثلاً مناخ ثقافى يولد التشدد أو التسامح ويكون هذا المعنى ضمن نسق أو نظام المعانى لدى أبناء هذه الثقافة. وقد وجد "ألك وآخرون" أن الأفراد يختلفون فى خبراتهم الانفعالية وهذه الاختلافات ترتبط بالثقافة، فقد تبين أن الانفعالات الموضوعية، والمعتقدات، والرضا عن الحياة تتحكم فيها خصائص الثقافة الفردية والجماعية. كما وجد أن والانفعالات الموضوعية والرضا عن الحياة ترتبط أكثر بخصائص الثقافة الفردية. (Kwang,et. ,al,2003)

وتعتبر نظريات الشخصية الإنسان كياناً مستقلاً له مكوناته وصفاته، وهذا ما يحدد الفروق الفردية بين الأفراد، وتفترض هذه النظريات نظماً وعمليات للشخصية تساعد على فهم وتفسير وتوقع سلوك الأفراد، فتفسر نظرية التحليل النفسى سلوك الأفراد من خلال البناء النفسى الخاص بها:"الهو"، و"الأنا"، و"الأنا الأعلى"، و"الصراع"، و"الكبت"، . . الخ. بينما تستخدم النظريات الإنسانية والوجودية مفاهيم:"الذات"، و"الذات المثالية"، و"الذات الحقيقية"، و"الذات المزيفة"، و"تحقيق الذات"، وتتحدث النظريات العقلية: عن "التفكير أو الحديث الداخلى" كأساس لتفسير السلوك، وتفترض نظريات العوامل أو السمات أن لكل فرد سمات ثابتة يمكن تفسير السلوك بها

وتتباين هذه النظريات فى استخدام آليات التفسير مثل مفهوم الخبرة فى النظريات الإنسانية– الفنومنيولوجية (ومن روادها: كيرجارد–بزوانجر– فرانكل– هيدجر– هوسسير– ماسلو– روجرز– لاينج– رييش– لوسن– ماى)، ومفهوم الأسباب فى النظريات: السيكوديناميةـ المعرفية – العقلانى الانفعالى (ومن روادها: فرويد– يونج– اريكسون– كيلى– اليس–باندورا– ميشيلبم)، ومفهوم النشاط فى النظريات السلوكية– الامبريقية– المادية (ومن روادها: واطسون–سكينر–ايزنك–موريرـميللر–رويتر)، ومفهوم الوعى

فى نظريات الجشتلت- الفلسفية (بيرلز)، ومفهوم السياق " الموقف: المترل- العمل-الراحة -العابر (ومن روادها: ادلر-سوليفان-ليفين-بيرن-باركر-المعالجون الاسريون)

(مروان دويرى، ٢٠٠٤; Cloninger,1996 ; L'Abate,1994, ;Bryson,Mauer,2003)

وعلى الرغم من تمتع الفرد بكيان مستقل إلا أنه لا يعيش بمعزل عن المجتمع وثقافته الذى يشكل بعض من جوانب شخصيته، وذلك من خلال التعامل مع معطيات الثقافة والموروث البيولوجى والأيكولوجى (المناخ الطبيعى) وهو الأمر الذى حاول كل من "جولدبرج"، و"كوستا وماكراى" دراسته لإيجاد إطار تصنيفى Taxonomic لتنظيم التشكيلة اللانهائية للاختلافات الفردية على مستوى الثقافات المختلفة كبديل عن الممارسة التقليدية التى تتضمن قياس بعض المتغيرات والسمات: كالحافز، والانجاز، الدجماطية (الجمود)، الانطواء والانبساط، والشعور بالذنب، والعداوة، ووجهة الضبط، والذكورة مقابل الأنوثة، والعصابية، والانفتاح والمواجهة، والتفاؤل، والاستبدادية، واحترام الذات، ومراقبة الذات، وقلق الاختبار، والثقة. . . الخ ولتحقيق ذلك كان لابد من إيجاد حلول لعدة مشكلات تصادف هذا النوع من البحوث ومنها: الحاجة إلى إطار تصنيفى Taxonomic لتصنيف وتنظيم الفروق الفردية التى يمكن قياسها، ومحاولة وضع صياغة مشتركة مناسبة لهذه المفاهيم والبناءات الشخصية فى بنود قياسية عبر لغات متعددة. بالإضافة إلى تسهيل الإتصال والحصول على نتائج الدراسات والبيانات، لتيسير سبل المقارنة والمراجعة، والتعديل والتنقيح والإضافة، للتوصل لإمكانية تعميم النتائج (Goldberg,1999; Goldberg, 1996).

ويرى بعض الباحثين ومنهم "تريانديس، وهوفستد" أن سمات الشخصية توجد فى معظم الثقافات، وأن الأفراد يتوزعون على محور الفردية – الجماعية "Individualism- Collectivism" ولكن تفسير سلوك الأفراد يكون أقل فى الثقافات الكلية عنها فى الفردية، بالإضافة إلى أن التنبؤ بالسلوك – من السمات – يكون بصورة أوسع فى المجتمعات ذات الثقافة الفردية النوعية عنه فى الثقافة الكلية الجمعية. ولكن ليس معنى ذلك أن الفوارق الثقافية والحضارية تتجاهل وجود الصفات العالمية بأى حال من الأحوال.

(مروان الدويرى، ٢٠٠٤ ,1998; Triandis&suh,2002; Eunkook,2002; Triandis,1995)

وفى هذا الصدد ذكر "هوفستد" (١٩٩٤) أن نتائج عدد من مشاريع البحوث قادته لتصنيف الثقافات الوطنية على خمسة أبعاد. وجدت الأربعة الأوّل منها بمقارنة قيم المستخدمين والمدراء في ثلاثة وخمسين فرعاً وطنياً تابعاً لشركة IBM وهذه الأبعاد هى:

١) مسافة القوة، أو درجة عدم المساواة بين الناس التى يعتبرها سكان بلد ما على نحو طبيعي: من متساوى نسبيا إلى غير متساوى تماماً.

٢) الفردية، أو الدرجة التي تعلم بها الناس فى بلد ما للتصرف كأفراد بدلا من كونهم أعضاء لمجموعات متماسكة: من جماعى إلى فردى from collectivist to individualist.

٣) الذكورة، أو الدرجة التى عندها تسود قيم ذكورية متمثلة فى قيم مثل التوكيدية والأداء والنجاح والمنافسة على" قيم أنثوية مثل: نوعية(جودة) الحياة، الاحتفاظ بعلاقات شخصية دافئة، الخدمة، الإهتمام و الرعاية، والتضامن: من القسوة إلى اللين.

٤) تجنّب الغموض والحيرة، أو الدرجة التى يفضل عندها الناس فى بلاد ما المواقف المنظمة على غير المنظّمة: من مرن نسبيا إلى متصلّب جدا. وفى بحث لاحق، وجد بعد خامس للاختلافات بين الثقافات. فقد نتج عن دراسة الأستاذ "مايكل إتش. بوند" Michael H. Bond للجامعة الصينية لهونج كونج الاختلافات القيمية بين الطلاب في ثلاثة وعشرين بلداً مختلفاً باستخدام استفتاء صمّم أصلا باللغة الصينية. أنتج تحليل البيانات أربعة أبعاد، ثلاثة منها مشابهة جداً لثلاثة من أبعاد IBM (ماعدا تجنّب الغموض والحيرة)، أما الرابع فجديد تماماً وذو مغزى. وهو البعد الخامس فى أبعاد تصنيف الثقافات.

٥) التوجه طويل المدى (LTO) كنقيض "للتوجه قصير المدى". تم تقدير القيم إيجابيا مع التوفير والمثابرة؛ فى حين كانت قيم احترام التقاليد والتراث، وتحقيق التوقّعات الاجتماعية. و يمكن القول بأنّ التوجه طويل المدى يتعلّق بالنمو الاقتصادى. (Darwish,2005 ; Hofstede,1994)

هذا ويرتبط بذلك الاحساس العامّ بالمعنى الشخصى على مظهرين مختلفين ولكن متكاملين هما:

" المعنى الضمنى أو التعريفى" ، الذي يشير إلى تعلق الأهمية الشخصية للموضوعات و الأحداث في الحياة، " والمعنى الوجودى او حمل المغزى". والمعنى الوجودى المعنى هو بؤرة بحثنا. وهو يشير إلى محاولات فهم كيف تتوافق الأحداث فى الحياة وتتركب فى سياق أعم وأكبر. بما يتضمنه من عملية خلق واكتشاف للمعنى، وطرح أسئلة مثل "ما قيمة المعيشة ؟ و "ما الغرض من الحياة؟ " فالرغبة والبحث عن المعنى عمليات محورية فى تكوين المعنى الوجودى. عرف كل من "ريكر، وونج " Reker and Wong، (١٩٨٨) المعنى الوجودى على انه إدراك الترتيب، والتماسك، والغرض من وجود الشخص وإحساس الإنجاز والتحقق المصاحب لذلك. فهو تركيب متعدّد الأبعاد يتكون من مكونات معرفية، ودافعية مترابطة مثل: القيم، والمعتقدات، والشعور بالرضا والانجاز. وهذه المكونات تستقى من مصادر متنوعة تمثل محتويات مناطق الموضوعات الشخصية التى تستخرج منها الخبرات كما قال "كوستا ، وماكراى"١٩٩٢. فالقيم والمعتقدات هما حجر الأساس لمصادر المعنى، ولذلك، تتفاوت وتتنوع طبقاً للخلفية الثقافية والعرقية، والخصائص الديموجرافية الاجتماعية sociodemographics، والمرحلة الارتقائية. وهذه المصادر تتضمن أنماطاً من التصرفات، وأهدافاً للحياة (Reker، ١٩٩٩). هكذا، يعكس أداة القياس المسماة مصار معنى الحياة (SLM) التفاعل بين موضوعات الحياة على المستوى الدقيق micro level والمستوى العام macro level الذى يحدد تاريخياً وثقافياً نظاماً للقيم ودرجة تكاملة.

وموضوعات الحياة هى التفسيرات الذاتية للميراث الثقافى للفرد، فهى تعبر عن وضوح النمو الشخصى، المعيشة، واشتقاق المعنى من نوع معين من الخبرة الثقافية، وهذه الموضوعات تفسر وتوحد وتعطى الجوهر لإدراكات الناس عن أنفسهم ومن يكونون، وكيف يرون أنفسهم كمشاركين فى الحياة الاجتماعية. والقيم هى التعبيرات عن الأفكار والمثل التى يتم تبنيها للسلوك البشرى تنشأ عن وتصف مجتمع ما عبر حقبة تاريخية معينة. فهى ما يحدد مكان الفرد بوضوح ضمن السياق الثقافى التاريخى، وتساعد على تشكيل بنية الحياة و تستديم بها.

ويمثل عدد المصادر المختلفة للمعنى طبقا لـ" ريكر Reker 1999، سعة المعنى. واقترح "ريكر، و ونج" أنه زاد تنوع مصادر المعنى تؤدى إلى إحساس أعظم بالإنجاز والتحقق. كما عرفا عمق المعنى كدرجة مدركة من التفوق الذاتى. فقد أقترحا أربعة مستويات للعمق يمكن تصنيف خبرة المعنى على أساسها: المستوى الأول؛ الانشغال الذاتى بالسرور اللذى hedonistic pleasure والراحة. المستوى الثانى ؛ تكريس الوقت والطاقة لإدراك الإمكانات البشرية؛ المستوى الثالث: خدمة الآخرين، والالتزام بأسباب عامة اجتماعية وسياسية. أما المستوى الرابع، فهو المستوى الأعلى هو قيم التفكير والتأمل والتى تتجاوز الأفراد وتشتمل على معنى كونيا وغرضا نهائيا. وقد وجد "أكنور، وتشامبرلاين،١٩٩٦،دلائل واضحة على الفروق فى عمق المعنى تتراوح بين الانشغال الذاتى وحتى المستوى الأعلى. واقترح " بوميستر" ١٩٩١، بما أن الحياة تتضمن تغيرات ثابتة، فإن المعنى مبنى على الاستقرار والديمومة، فكلما زادت التوقعات من الحياة، فإن القيم الثقافية المشتركة تستمر حتى الأعمار الكبيرة. (Bar-Tur & Savaya, 2001)

وفى هذا السياق اختارت الباحثة نموذجين لدراسة الشخصية، بالإضافة إلى بعض المتغيرات الآخرى التى ترى من وجهة نظرها قربها لموضوع معنى الحياة. ثم تعرض لمعنى الحياة وارتباطه بالشخصية والثقافة تعرضه فيما يلى:

أ) نموذج يأخذ فى اعتباره الصفات العالمية فى المجتمعات الكلية مستوى العوامل الكبرى يتخطى الثقافات ويقيس الشخصية من خلال (International Personality Item Pool) الوعاء العالمى للبنود الذى أعده جولدبرج.

ب) نموذج لقياس سمات الشخصية فى مجتمعات بعينها من خلال مقياس "ايزنك ويلسون" صلابة ومرونة التفكير.

ج) بعض متغيرات الشخصية:

ج/١ وجهة الضبط ج/٢ الوحدة النفسية ج/٣ قوة الأنا.

د) معنى الحياة والشخصية والثقافة.

أ) نموذج العوامل الكبرى "الوعاء العالمى للبنود :

أ/١ التعريف به :

نشأ فى الربع الأول من القرن العشرين الاهتمام بالمنحى النفسى اللغوى Psycholexical approach وهو المنحى الذى يهتم بدراسة المتغيرات النفسية وخاصة الشخصية الإنسانية من خلال الترميزات اللغوية المختلفة التى تصف هذه الخصائص. وقد أثار العلماء فى مجال الشخصية منذ بداية الاهتمام بهذا الفرع من الدراسات النفسية عدة قضايا تختص بتصنيف الصفات التى يجب أن تكون عليها الشخصية الإنسانية. ولقد وجد علماء نفس الشخصية ضرورة وجود نموذج وصفى أو تصنيفى يشكل الأبعاد أو العوامل الأساسية للشخصية عن طريق تجميع السمات المرتبطة معاً، وتصنيفها أو إدراجها تحت بُعد أو عامل مستقل يمكن تعميمه عبر مختلف الأفراد والثقافات. (بدر الأنصارى، ١٩٩٧).

وقد كان السير "فرانسيس جالتون" F. Galton رائد القياس النفسى الكبير من بين العلماء الأوائل الذين اعترفوا بشكل واضح بالفرضية المعجمية الأساسية" والتى تعنى أن الاختلافات والفروق الفردية الأكثر أهميةً في الصفات الإنسانية سيتم ترميزها وتُشفيّرهاَ كتعبير اصطلاحى واحد في بعضِ أو كُلّ لغاتِ العالَم. علاوة على أنه كَانَ بالتأكيد واحداً من أوائل العلماء الذين لجئوا لاستشارة قاموس اللغة كوسيلة لتقدير Estimating عدد مصطلحات وصف الشخصية في المعجم ولتقدير المدى الذي تشترك فيه أوجه Aspects مصطلحات وصف السمات أو "مسمياتها" فى معانيها. فقد خمن "جالتون" عددِ المصطلحات المتعلقة بالشخصيةَ في اللغة الإنجليزية والتى تم تحديدها فيما بعد بشكل امبيريقى تجربي؛ أولاً من قِبل ألبورت وأودبرت(١٩٣٦)، الذي استخرج هذه المصطلحات منْ الطبعة الثانية لقاموس ويبستر الكامل، ولاحقاً من قِبل نورمان (١٩٦٧)، الذي أكملَ القائمةَ السابقةَ بالمصطلحات منْ الطبعة الثالثة من نفس القاموس. تعلقت بصيرة "جالتون" بالعلاقات بين مصطلحات الشخصية نُسختْ في جُهودِ المحقّقين التاليين لاكتشاف طبيعة تلك العلاقات، لكي يَبْني تمثيلاً بنائياً لواصفات الشخصية descriptors(Goldberg,1993). وتابع جهود جالتون كل من "كلاجس"(١٩٣٢)، و"بومجارتن"(١٩٣٣) والبورت واودبرت(١٩٣٦) بالبحث فى معاجم اللغة للتوصل لصفات أو سمات تشير إلى السلوك لدى أفراد من البشر (بدر الأنصارى، ١٩٩٧)

وكان ل. ل. ثرستون من بين هؤلاء الباحثين ورائداً للعمل فى مجال البحوث التى تستخدم التحليل العاملى ولم يتابعَ "ثرستون" تحليلَه المبكّرَ لهذه الصفاتِ الـ٦. وبدلاً من ذلك اختارَ إعادة تحليل مقاييس الاستخبار الذى طوّرَه "جيلفورد". وقادته التدويرات المائلة للمقاييس الثلاثة عشر لجيلفورد إلى تطويرِ العواملِ السبعة في جدولِ ثرستون للمزاجِ (Thurstone,1953)، وقد انعكس ولاء "ثرستون" للتدوير المائل فى التحليل العاملى على عمل "رايموند ب. كاتل Cattell" ، الذي بَدأَ استكشافاتَه فى الشخصية بالاقتناع بحوالى

(٤٠٥٠٠) مصطلح لوصف السمات والتى تضمنتها استخلاصات "ألبورت وأودبرت" عام١٩٣٦، وفى عام ١٩٤٣ استعمل "كاتل" هذه القائمة من السمات كنقطة بداية، والتى تم تنميتها فى النهاية للوصول إلى مجموعة منْ (٣٥) متغيّر مركب جداً ذو قطبين، كُلّ قطب فى كل منها يتركب من مجموعة منْ الصفات والعبارات، هذه المتغيّرات تم استخدامها في الدراسات المُختلفة، وتم تحليل الارتباطات بين كلّ منها عاملياً باستخدام إجراءاتَ تدويريةَ مائلة (Cattell، 1947; Goldberg, 1993)

أ/٢ الفرضية المعجمية:

يسمى العملِ النفس معجمى Psycho Lexical بالفرضية المعجمية أو بمعنى، أن كُلّ الاختلافات الفردية على أى مستوى من الأهمية تعبيرها موجود في اللغة. كما أن psycho lexically ليس خاصاً بالعمل النفس معجمى فقط بل أيضاً بعالم اللغة. فقد أكد عالم اللغة النفسى "جورج ميلر"، وفيلسوف اللغة العادية، "أوستن"، تلميذ لودفنج فيتجنشتاين Wittgenstein L. أهمية الأفكار وتركيب الكلمات فى هذا الصدد. والتى تُجسّدُ نصيبنا العادي منْ الكلمات في حياة العديد منْ الأجيال والتى بقيت وواجهت الاختبار الطويل للبقاء (أوستن، ١٩٧٠ ; Boele De Raad، 1998 .p. 181) فاللغة لها أهمية فى إنتاج المعانى وتحديد الهويات، وفى العلاقات العميقة والصعوبات وذلك عبر مراحل الحياة ومنذ الطفولة. (Medical Society News Leter, 2001)

ويذكر سوسير (٢٠٠٣) فى نهاية دراسته حول بناء عوامل الشخصية فى اللغة الانجليزية مستخدماً نمط الأسماء Type-Nouns وليس أسماء الصفات Trait-Adjective أنه على الدراسات المستقبلية أن تقترب باهتمام نحو تَفْحصُ طبيعةَ ووظائف العوامل شديدة الكبر، والتقويمية مثل عوامل (عدم المقبولية الاجتماعية) (التحقير) Contemptibleness والتى تَبْرزُ في مجال دراسة الشخصية عبر أسماء السمات وليس الصفات. علاوة على ذلك، فيجب على الدراسات المستقبلية أَنْ تعطي مزيداً من الانتباه نحو المستويات التى تركز على استخلاص عامل الواحد أو عاملين فى وصف الشخص والتى لها ظهور بارز، ويبدو أن لها عمومية عالية داخل البيانات الفردية. وتسهم فى تكامل المناحي التى تدرس الصفات والخصال الملحوظة والعمليات الدينامية فى دراسة الشخصية. فعلى مستوى أكثر خصوصية تشير الدراسات المعجمية لنمط الأسماء إلى الأهمية الاجتماعية لمتغيرات الجاذبية والذكورة (أو الفحولة أو الوعورة في وصف الشخص، مما سَيَكُونُ مفيداً إذا أعطتها النماذجُ البنائية للشخصية مزيداً من الاهتمام وأخذها فى اعتبارها، فقد وضح استناد معظم دراسات اللغة الطبيعية للشخصية على فرضيات لا مبرّر لها. وبشكل مُحدّد، لا نَستطيعُ افتراض أن كُلّ اللغات لَها تصنيفات وصفية عريضة وعامة مثلما يوجد فى اللغة الإنجليزية واللغاتَ الأوروبيةَ الآخرى. ولا يُمْكِنُ افتراضَ- بدرجة كبيرة - أن تلك الخواصِ مُمَثّلة فيها بنفس الأسلوب في الأسماء والصفات. لذا هناك كثير للتَعَلّم منْ تحديات ما وراء الطرق المجربة فى وصف السمات والميزات (Saucier,1999 , Saucier, 2003).

وقد كشفت دراسة نارليانا وآخرون ١٩٩٥ عن أن الطيبة ويقظة الضمير من أكثر أبعاد الشخصية الخمسة التى يصفها الأفراد. (Narayanan,et. ,al,1995)والخلاصة أن الحاجة ماسة إلى مقياس معرفى عبر ثقافية يمكن من خلاله تعميم النتائج. (Lucia,*et. al.*, 2002)

أ/٣ بعض القضايا المثارة حول هذا المشروع وكيف حاولوا التغلب عليها :

أ/٣/١ الحاجة لوجود إطار تصنيفى taxonomic لتنظيم التشكيلة اللانهائية من الاختلافات الفردية المزعم قياسها

أ/٣/٢ الحاجة لوجود صياغة مشتركة لبنود المقياس بعدة لغات، تأخذ فى اعتبارها اللغات الفرعية فى البلد الواحدة.

أ/٣/٣ الحاجة لوجود نمط للاتصال متاح للجميع لتبادل الخبرات، المعلومات، والتقارير، ونتائج الدراسات السابقة، ولمناقشة المشكلات التى تقابل التطبيق والوصول لأنسب الحلول فيها. وحتى يتم حذف بنود غير صالحة أو إضافة بنود جديدة.

أ/٣/٤ مراجعة الجداول والارتباطات من الدراسات التى تتم، والمتابعة المستمرة للتطبيق فى مختلف الميادين.

أ/٣/٥ إمكانية تطوير المقاييس وتحسين خصائصها، وعمل دراسات تفيد الصدق المقارن.

أ/٣/٦ دراسات أخرى على النموذج.

أ/٢/١ بالنسبة للإطار التصنيفى لتنظيم خواص الشخصية :

ظلت عملية تقدير الشخصية راكدة خلال العقود الماضية، إلى أن أصبحت هناك حل لمشكلة التصنيف taxonomicالأساسية فى تقدير الشخصية . فقد تم عمل تحليلات لعينات كبيرة لبعض سمات الشخصية أدّت إلى وجود تمثيل هيكلي عموما في أغلب الأحيان يمكن أن يسمى باسم (العوامل الخمسة الكبرى للشخصية دراسات(waller,1995; Noraynan,et. ,al,1995;Raad,1998;Mccrw,et. ,al,2002)

يمكن النظر إلى هذا النموذج كتركيب هرمى على قمته العوامل الكبيرة الخمسة أو قرب قمة التدرج، وفى سفحه أو الدرجات الدنيا منه توجد العديد من المستويات الدنيا والتى تقاس بالعديد من المقاييس (واسعة الموجه broad-bandwidth personality inventory) على الرغم من أن هناك اتفاقا بين الباحثين على العوامل الكبرى فى الشخصية فى حين لا يوجد مثل هذا الاتفاق حول المجموعة المثالية من مظاهر المستوى الأدنى. على سبيل المثال، هناك ٤٥ بعداً ذا قطبين في (ab5c) "نموذج العوامل الخمسة الكبرى" الذى اقترحه كل من هوفستى ، وديبراد ، وجولدبرج ١٩٩٢ Hofstee ، دي راد، وجولدبيرغ (١٩٩٢)؛ كما أن هناك ٣٠ بعدا ذا قطبين في نموذج العوامل الخمسة "لكوستا، وماكراى" في مقياسهما الجديد المراجع ؛ كذلك هناك حوالي ٣٠ إلى ٣٥ مظهرا مقياس كاليفورنيا للشخصية لجوف (cpi سي بي آي)؛ وهناك عوامل كاتل الأساسية المشهورة

الـ١٦ في التركيب الهرمي في مقياس عوامل الشخصية الستّ عشر (١٦ بي إف). لأن الاتفاق حتى الآن لم يحصل على التفوق النسبي لأى من هذه التراكيب التى تعالج المستوى الأدنى المتنافسة، حتى يمكن أن يقارنوا بشكل تجريبي. (Lewis,Goldberg, 2004 ;Lewis,Goldberg,1999)

أ/٢/٣ فيما يخص تطوير صيغة مشتركة :

اعتمدت نتائج التحليلات فى مقياس العوامل الخمسة الكبرى فى تعرّف على الاختلافات بين الأفراد على الصفات والاسماء والأنواع التى تستخدم فى معاجم لغات العالم. وهناك على الأقل ثلاث مشاكل مرتبطة باستخدامها :

أولا، نفس الصفة التي تزوّد قوّتهم الرئيسية في دراسات taxonomic أساسية، فليس هناك ما يكفي من الصفات لتكرار وثبات هذه المقاييس فى مناطق الشخصية المختلفة.

المستوى العالى جداً من التجريد للصفات والسمات وأسماء النماذج للشخصية في مستوى العالى فحتى الدرجات الدنيا منها تظل مجردة بدرجة ما عن واقع السلوك الذى تصفه.

عدم توحيد الترجمات التى قد لا تكون واحدة في اللغات المختلفة، والتى تكون نتيجة لتجريد الصفات والسمات وأسماء النوع.

أ/٣/٣ تطوير الصياغة المشتركة للبنود :

لذلك اقترح جولدبرج استخدام صياغة واحدة للبند نبدأ هذا المشروع يستعمل صفات أكثر سياقية contixtualized ، وأطول من مجرد وصف السمة، وتظل كذلك قصيرة نسبياً أو شبه مضغوطة، وقد اقترح هذه الصياغة فريق دراسة الشخصية بجرونجن Groningen،والمكون من Hofstee ، DeRaad، و Hendriks حيث اقترحوا هذه الصيغة للبنود واستعملوها لتطوير الوعاء الأولى لأكثر من ألف بند بالهولندية الألمانية Dutch والتي تمنّوا أن يغطّي العديد من مظاهر عوامل الشخصية الخمسة الكبرى وكانت النتائج معتمدة على تحليلات (٩١٤) من هذه البنود الألمانية ، وقد عمل جولدبرج مع فريق Groningen لترجمة البنود إلى مكافئها الإنجليزي. ومن هذا الوعاء الأولى للبنود الانجليزية الإنجليزية الأولية، تم اختيار حوالى (٧٥٠) من ترجماتهم الأصلية، وبعد ذلك أضاف حوالي (٥٠٠) بند جديدة من الإنجليزية والتى ليس لها حتى الآن ترجمات ألمانية. وكان الوعاء الناتج من (١٢٥٢) بندا إنجليزياً، والتي سميت بالوعاء الدولى لبنود الشخصية (IPIP) -وتم تطبيقها على عينة من ثلاثة أجزاء من الراشدين، كما طبق أعضاء هذه العينة مقياساً من (٣٦٠) صفة لوصف سمات الشخصية ، والذى يتضمّن (١٠٠) مؤشرٍ أحادى القطب على بناء العوامل الخمسة الكبرى (جولدبرج، ١٩٩٢)، بالإضافة إلى مقياس من (٥٢٥) لوصف صفات الشخص المألوف في اللغة الإنجليزية. مع استكمال هؤلاء المشاركين لتشكيلة بنود من مقاييس الشخصية التجارية الموجودة، مثل اختبار

كاليفورنياCPI؛ واختبار كاتل ١٦ PF؛ NEO-PI-R لكوستا وماكراى، مقياس الخَلق والمزاج TCIلكولينجر وزملاؤه.

أ/٤/٣ نمط الاتصال بين المحقّقين:

تم عمل وسيلة للاتصال بين العلماء الراغبين فى الاشتراك فى تطوير هذا المشروع، من خـــلال مواقـــع الانترنيت لتبادل المعلومات والنتائج وإضافة نتائج أخرى.

أ/٥/٣ بعض الدراسات الأولية لمؤشرات الصدق والثبات :

دراسة أولية للصدق المقارن:

يعترض أيزنك على صدق هذه العوامل ويتساءل لماذا نحصل على نتائج مختلفة من تصنيف كلمات مختلفة؟ وأيهما يعطينا النتائج الصحيحة؟ وكيف نبرهم على صدق هذه العوامل؟ وهل هذه العوامل لها معنى؟(Eysenk,1993) ورغم هذه الاعتراضات إلا أن هناك دلائل أولية مناسب جدا بخصوص الثبات والصدق التنبؤي لمقاييس الوعاء الدولى لبنود الشخصية. فقد عرض جولدبرج لدراسة كبيرة تتحدث عن الصدق المقارن لمقاييس شخصية الراشدين يقارن فيها بين تطبيق العديد من المقاييس الشائعة فى سوق الاختبارات، ومقارنة نتائجها بنتائج الوعاء الدولى لبنود قياس الشخصية على عينة أمريكية بلغت (٨٠٠) فرد أكمل منها البيانات (٤٢٣) فردًا وهى عينة متعددة الخصائص (من٢٢ حتى٩٠ سنة، من مستويات تعليمية مختلفة) وحسب الصدق لعدة مستويات ووفق العديد من المحكات منها مستوى عمومية البند، الارتباط ببعض المحكات فى بعض مجالات السلوك كالسلوك التنظيمى والصناعى، وبعض المحكات الاكلينكية، وخرج بنتائج مرضية جداً عن أداء المقياس العالمى لبنود الشخصية للراشدين والذى يمتاز بالصدق والثبات وقابلية التنبؤ، وله مجموعة من المؤشرات (مائة بند أحادى القطب) تمتاز بنفس الخصائص. فقد وجد تكاملاً بين الأبعاد الخمس الكبرى ومنحنى بناء السمات يتكامل النموذج الكامل للخمسة أبعاد للشخصية والنموذج المختصر للعوامل الخمس من الوصف المعجمى والحاصل عليها من التحليل العاملى لـ ٦٣٦ تقديراً ذاتياً على ٤٥٠ سمة ((Hofstee,Raad,Goldberg , 1992).

وتظل مشكلة تعميم النتائج قائمة حتى تتجمع الدراسات من أكبر عدد من بلدان العالم وتحلل النتائج وتقارن ليس فقط بدرجات المقاييس، ولكن بالطبيعة البيولوجية الخاصة بالشعوب المختلفة، فضلاً عن نوعية الثقافة وخصائصها فى البلد الواحد بل فى فروعها الداخلية (الثقافات الفرعية فى داخل البلد الواحدة. وقد حاول شسنج ولآخرون (٢٠٠٣) عمل مراجعة لنتائج بعض مقاييس الشخصية على بلاد من قارة أسيا من ضمنها مقاييس عبر ثقافية. (McCrae,Costa,1997) هذا فضلاً عن محاولات أخرى لدراسة العلاقة بين الفردية/الكلية فى دراسى عبر ثقافية استخدمت فيها قائمة هوفستيد للفردية فى العديد من البلدان (Jose,et. ,al,2003). فى دراسة وبتجميع كل هذه المقارنات يمكن الوصول إلى بعض القواعد التى يمكن بها أن

نحكم على تعميم نتائج الدراسات التى أجريت فى هذا الشأن حتى الآن فبعض الدراسات عبر الثقافية حاولت إظهار دلائل عبر حضارية للمظاهر الأساسية للانبساط بما فيها من: حساسية الفرد للمكافأة الداخلية- تدعيم الموقف الاجتماعى – الثقافة الفردية/الموقف الاجتماعى يعود إلى التدعيم (Lucas, *et. al*, 2001). كما ظهر كذلك فى بعض المراجعات التقويمية الحديثة – خاصة نموذج "كوستا " – وماكراى" عدم وجود تأييد لعمومية النموذج عبر الثقافات بالرغم من تبنيه للأساس البيولوجى الجينى بل وأعطت تلك المراجعات تأييداً مؤقتاً لنموذج الاستثمار الاجتماعى الذى يؤمن بأن ارتقاء سمات الشخصية ناتج عن الخبرات التى تتراكم لدى الفرد من تعامله فى المواقف والأدوار المختلفة إجتماعياً. (Roberts *et. al.* , 2005) . كما كشف (روبين وآخرون) فى دراستهم عن أن سمات الشخصية تكون ثابتة على ومستمرة على مدار السنين ولا تتغير بالطرق المنظمة. (Robines *et. al.* , 2001) ولم يقف البحث عند هذا الحد بل وصل تفكيير الباحثين إلى البحوث الخاصة بالعائلة حيث راجع (روس) المفاهيم النظرية والإمبريقية فى هذه البحوث والتى تتضمن ارتقاء الأطفال. وتوصّل إلى ضرورة أن تتضمن مثل هذه البحوث دورُ عِلْمِ الوراثة، الدور البيولوجى وإرتباطاته بالممارسات العائليةِ، والانتماء العرقى. (Ross, 2004,365)

أ/٣/٦ دراسات أخرى على النموذج:

١- اظهرت دراسات أخرى ظهور (٦) عوامل "تركيب الشخصية ذو الست عوامل الصفات الوصفية" بإستخدام (٧) لغات الهولندية، الفرنسية، الألمانية، المجرية، الإيطالية، الكوريه، البولندية. وقد وضع المؤلفون تقاريرهم عن محتوى تلك الأبعاد الخاصة بالشخصية ووضعوا المصطلحات للأبعاد كما يلى:

العامل الأول: الانبساط Extraversion والمعرف بالاجتماعية، والحيوية وليس من خلال الشجاعة والعنف.

العامل الثانى: الطيبة Agreeableness والمعرف باللطف والضمير، وبالغضب والمزاج المتقلب فى قطبه السالب.

العامل الثالث: يقظة الضمير Conscientiousness ويشير إلى النظام والترتيب أكثر منه ضمير أخلاقى.

العامل الرابع: الثبات الانفعالى Emotionality ويتضمن القلق، والضعف، والعاطفية، وقلة الشجاعة، وقلة العنف ولكن لا يتميز بالغضب ولا بالمزاج المتقلب.

العامل الخامس: التواضع/الإذلال Humility- Honesty وهو عامل يشير إلى الثقة الخالصة والتواضع ونقص الجشع.

العامل السادس: الفكر أو الخيال التفكير أو الأسلوب الذهنى. Intellect Imagination

(Ashton, *et. al.* , 2. . 4) وقد افترض ماكرى وأخرون (٢٠٠٤) فى دراسة على عدة ثقافات أن عوامل العصابية، والانبساطية، والتفتح على الخبرة تزداد عبر العمر. (McCran,et. ,al,2004)

٢- اظهرت دراسات أخرى ظهور (٧) عوامل "تركيب الشخصية ذو السبع عوامل الصفات الوصفية" على عينات مختلفة: أمريكا، واسبانيا، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، وكانت الأبعاد كما يلى:

العامل الأول: الإنبساط Extraversion- العامل الثانى: الطيبة Agreeableness - العامل الثالث: يقظة الضمير Conscientiousness - العامل الرابع: الثبات الانفعالى Emotionality - العامل الخامس: التواضع/الإزلال Humility- Honesty - العامل السادس: الفكر أو الخيال يشير إلى الغير تقليدى. Intellect Imagination - العامل السابع: التكافؤ الإيجابى والتكافؤ السلبى Positive and Negative Valence

(Benit,Waller, 1995)

٣- أظهرت الدراسات ارتباط بين العوامل الخمسة الكبري وبعض المتغيرات الأخرى كالتفهم، والرضا عن الحياة (Barrio,2004; Ramanaiah,1997)

ب) نموذج السمات المكونة للأبعاد الثلاثة الكبرى لأيزنك : بعد مرونة وصلابة التفكير :

Thought minded – tinder minded

اختارت الباحثة هذا البعد من أبعاد الشخصية "مرونة /صلابة التفكير" لارتباطه بأبعاد قريبة من مفهوم المعنى (الذى تتبناه الباحثة من وجهة نظرها) ويرتبط هذا البعد بالأفكار أو السلوكيات التى يقوم الفرد بالتخطيط والتنفيذ لها على مدار حياته، ويحتاج لتنفيذها أن يتسم ببعض السمات كتأكيد الذات والمرونة ودافعية للإنجاز والبحث عن الإستثارة بأبعادها:المخاطرة/البحث عن الخبرات الجديده، وتعتبر **العدوانية** أحد سمات مقياس إيزنك "مرونة وصلابة التفكير" وتظهر من خلال سلوكيات مثل: نوبات الغضب العصبية، والقتال، والجدال العنيف، والسخرية وعدم تقبل الحماقة من اى شخص، والرغبه وعلى عكس العدوانية تكون سلوكيات تتميز بالرقة، والهدوء، وتجنب النزاع الشخصى. **والتوكيدية** ذو صله وثيقه بالعدوانية،ويتصف الذين يسجلون نقاطاً عالية بما ندعوه أحياناً "الشخصية القوية". فهم استعلاليون، مسيطرون، لايتنازلون عن حقوقهم، ربما للحد الذى يعتبرون فيه"اندفاعيين". أما الذين يسجلون نقاطاً دنيا فإنهم متواضعون،متبلدون،خاضعون،ولا يتزعون إلى القيام بأية مبادرة فى وضع شخصى متبادل، وقد تفرض الأشياء عليهم بسهولة **والتوجه إلى الإنجاز**. ويتصف الذين يسجلون أرقاماً عالية بالطموح، والجد، والتنافس، والمهارة فى تحسين وضعهم الاجتماعى، ويمنحون قيمة عليا للإنتاجية والإبداع. أما الذين يسجلون أرقاماً دنيا فإنهم يمنحون قيمة ضئيلة للإنجاز التنافسى أو الإنتاج المبدع. ويتصف معظمهم بفتور الشعور،والانكفاء واللاهدفية، وهناك **المعالجة أو التناول** فالذين يسجلون أرقاماً عالية يتصفون بأنهم مستقلون، غير متحيزين، دهاة،دنيويون، محبون لمصالحهم،حذرون، ماكرون، يحسبون لكل شيء، ويتقدمون بمصلحتهم الذاتية فى تعاملهم مع الآخرين. ويتصف الذين يسجلون نقاطاً دنيا بأنهم ودودون،عطوفون، موثوقون،مستقيمون، محبون للغير، يلبسون مآسى غيرهم، وقد يكونون بسطاء طيبين يخدعون بسهولة. والأوائل منهم يسمون أحياناً بالمكيافيلية لأنهم يتوافقون مع الفلسفة السياسية التى وضعها الكاتب الايطالى نيكولو مكيافيلى (يمثل هنرى كيسنغر عصر نهضة الميكافيلية) **والسعى إلى الحسية** هو المقياس الخامس . ويوضح هذا العنوان ذاته بذاته. ويسعى الذين يسجلون أرقاماً عالية على نحو دائم إلى الإثارات فى حياتهم وهم دائمو الجوع إلى التجارب الجديدة ويسعون إلى "نشوة الطرب " ليدفعوا عنهم السأم. وإلى هذا الحد، يقبلون بمستوى معتدل من الخطر فى حياتهم. أما الذين يسجلون نقاطاً دنيا فإن حاجتهم للإثارة والمخاطرة قليلة. ويفضلون، عوضاً عن ذلك، متع "الحياة المترلية" الآمنة والأليفة. ويتضح ترابط هذا الشيطان الجسور مع الذكورة التقليدية"أعراض إيفيل نيف المتزامنة". **والدجماطية** ويتسم هذا المظهر السادس بواقعية التفكير. والذين يسجلون نقاطاً عالية، وضعوا لأنفسهم قواعد تتمثل بوجهات نظر متصلبة فى أغلب القضايا، ويحتمل أن يدافعوا عنها بعنف وصخب. أما الذين يسجلون أرقاماً دنيا فإنهم أقل صلابة، ويحتمل أن يروا الأشياء من خلال الأبيض والأسود. إنهم منفتحون على الاقتناع والاقناع العقليين،ومتسامحون إزاء عدم اليقين. (مجدى عبد الكريم،١٩٩٣ ; سميحة أبو النصر،١٩٨٣، ١٩٨٦ ;Wilson,Eysink,1975)

ج) متغيرات الشخصية :

ج/١ وجهة الضبط ج/٢ الوحدة النفسية ج/٣ قوة الأنا.

ج/١ وجهه الضبط :

اشتق العالم "جوليان روتر" مفهوم وجهة الضبط من نظريته فى التعلم الاجتماعى، حيث يرى أن نوع وجهة الضبط (داخلى – خارجى) يبنى على نوع التعزيز ،ويتصل بالدرجة التى يدرك بها الفرد أسباب نتائج الأحداث فى حياته، فينشأ لديه الاعتقاد فى وجهة ضبط داخلى أو وجهة ضبط خارجى (ممدوح الكيلانى ،١٩٩١ ، ١٠٩) ومفهوم وجهة الضبط مفهوم قريب من مفهوم العزو الذى يعزو أسباب الأحداث إلى عوامل خارج الشخص أو إلى امكانيات وقرارات وبالتالى من الممكن أن يكون بين بعض العوامل المؤثرة فى تكوين المعانى.

ويرى "روتر" أن الأفراد يختلفون فى إدراكهم لمصدر التدعيم: فبعضهم يرى أن التدعيم يأتى دائما من الخارج ،بينما يرى البعض الآخر أن مصدر التدعيم داخلى . ويفرق "روتر" بين هاتين الفئتين من الأفراد، فالنوع الأول يسمون ذوو الاعتقاد فى الضبط الخارجى (Belief in External Control) والنوع الثانى يُسمون ذوو الاعتقاد فى الضبط الداخلى (Belief in Internal Control) مع ملاحظة أن التدعيم فى هذه الحال لا يقع إلا إذا كان الفرد شاعرا به ومدركا للعلاقة السببية بين أفعاله والنتائج المترتبة عليها، وعلى أساس إدراك الفرد لهذه العلاقة تقوى بعض أساليب ويضعف بعضها الآخر حسب ما تصادفه من تدعيم سلبى أو إيجابى(علاء كفافى ،١٩٨٢،ص ٣-٤) .

واعتبر الباحثون فى مجال علم النفس الاجتماعى والشخصية – ولاسيما فى الآونة الأخيرة – أن مصدر الضبط من سمات الشخصية، وتبين لهم ما لهذه السمة من قدرة على التنبؤ بدوافع الفرد وسلوكه فى مواقف الحياة المتباينة، كما أنها أحد الجوانب المهمة فى تنظيم التوقعات الإنسانية وتحديد مصادرها – فضلا عن –كونها أحد المكونات البارزة فى تحديد العلاقة الارتباطية بين سلوك الفرد وما يحدث بعده من نتائج تساعده على أن ينظر إلى إنجازاته وأعماله، والى نجاحه أو فشله على ضوء قدراته، وما يستطيع القيام به من مجهودات مبذولة ومثابرة فى تحقيق أهدافه، وما يرجو من نتائج لسلوكه ،وما يتخذه من قرارات حيال هذا السلوك (مايسه النيال ١٩٩٣ ص ٥٣٩).

وهناك عدة عوامل تسهم فى تشكيل وجهة الضبط، وهى: العوامل الثقافية – العوامل المعرفية – عوامل الاستقرار (Stability). بالنسبة للعوامل الثقافية فأن ثقافة المجتمع تحدد وتحفز نوع وجهة الضبط للأفراد، فهناك المجتمعات التى تروج لقيم: الاستقلالية، والاعتماد على النفس، وتحمل المسئولية (ضبط داخلى) ، بينما

مجتمعات أخرى تشجع على : الاعتمادية، وتضخم من تأثير ذوى النفوذ وأهميتهم فى تسيير الأمور الشخصية (ضبط خارجى). وهناك العوامل المعرفية التى تتحكم فى الموقف مثل العوامل الدافعية كالخبرات السابقة، والمهارة السابقة، والمهارة المتوفرة، ودرجة احتياجه، أورغبته فى إنجاز المهمة المنوطة فى الموقف... - وهناك أيضا العوامل الموقفية، وتشمل سياق الموقف بما يحمله من صدفة أو حظ ،أو عوامل تدخل دون تخطيط أو تحكم . بالإضافة إلى وجود بعض عوامل ثابتة تكون وجهة الضبط كالقدرة وتأثير الآخرين، وذوى النفوذ، وعوامل متغيرة كالحظ وسياق الموقف. (سوسن عبد الهادى، ١٩٩٣، ١٤٢-١٤٣)

ومن خصائص الضبط الخارجى الحيرة فى مواجهة مواقف الحياة المختلفة، خصوصا تلك المواقف المتعلقة باتخاذ القرار أو الاختيار، فضلا عن عدم قدرتهم على التأثير على الأشياء أو الأفراد فى البيئة من حولهم، مما يميزهم بالسلبية. ووجهة الضبط شأنها شأن أى نماذج سلوكية تخضع لقوانين التعلم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة بخاصة والمدرسة بعامة، وكلما حدث هذا التعلم فى السنوات المبكرة من العمر أصبح أكثر ثباتا ورسوخا. فالطفل الذى ينشأ فى أسرة سوية تتيح له قدرا أكبر من الحرية لإدارة شئون حياته وطريقة معيشته وتوجيه سلوكه الشخصى يمكنه الاعتماد على النفس، ويتحمل المسئولية، ويشعر بالثقة الزائدة فى نفسه وفى قدرته على النجاح ويعدل من سلوكه ويكتسب أنماطا جديدة من السلوك المرغوب فيه، ويتحدى المواقف الصعبة، ويقدر ذاته بصورة أفضل ويستطيع اتخاذ قراراته بنفسه وينشئ علاقات حسنة مع الآخرين، ويشعر بالأمن النفسى من قبل الأسرة الأمر الذى يؤدى بدوره إلى شعوره وإدراكه بأن التدعيمات أو التعزيزات الإيجابية أو السلبية تتبع سلوكه الشخصى وتكون نتيجة له وتتحدد بناء على أعماله وتصرفاته الذاتية الحسنه أو السيئة ترجع إلى عوامل داخليه يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها ولا ترجع إلى عوامل الحظ أو الصدفة مما يترتب عليه تعلم وتكوين سلوك الضبط الداخلى. أما الطفل الذى ينشأ فى أسرة مضطربة وغير سويه فقد يتسم بسمات وخصائص نفسية غير مرغوب فيها مثل : الاتكاليه ،العدوانية ،ضعف الأنا عدم تحمل المسئولية ،عدم الثقة بالنفس القلق ، عدم القدرة على ضبط ذاته وضبط انفعالاته ،الخضوع للآخرين ومحاولة مسايرتهم عدم تأكيد الذات الأمر الذى يدفع بالطفل إلى الاستسلام للظروف الخارجية وتأثير نفوذ الآخرين من ذوى السلطة والاعتقاد فى عوامل الحظ أو الصدفة ،والشعور بعدم القدرة على التحكم فى النتائج التى تترتب على أعماله وتصرفاته الشخصية والتى تتحدد نتيجة لسلوكه الذاتى وبذلك يتعلم ويتكون لديه سلوك الضبط الخارجي (عماد عبد المسيح، ١٩٨٩، ص ١٧٥-١٧٦)

ج) الوحدة النفسية :

يرى عدد من الباحثين أن الشعور بالوحدة النفسية يعتبر بمثابة نقطة البداية لكثير من الاضطربات النفسية والمشكلات التى يتعرض لها الفرد فيرى شبيتزبرج Spitzberg أن الوحدة النفسية لها علاقة بالقلق والاكتئاب والخجل ويؤكد كل من بيبلو وبرلمان Peplau & Perlman حيث يريا أن الفرد الذى يعانى من الشعور

بالوحدة النفسية يتسم بخصائص شخصية منها الإنطوائية والخجل وعدم الرغبة فى القيام بأنشطة (عبد الباسط، ٢٠٠٤، ١٩٥)

الشعور بالوحدة النفسية خبرة مؤلمة تؤثر فى تفكير الفرد بهدوء وصفاء وتتبع الوحدة النفسية من افتقاد الفرد للعلاقات الاجتماعية. (مايسة النيال،١٩٩٣) والشخص الوحيد هو الذى يشعر بأنه غير منسجم مع من حوله،وأنه محتاج لأصدقاء،ويغلب عليه الإحساس بأنه وحيد،ولا يوجد من يشاركه أفكاره واهتماماته،ومن يشعر معه بالود والصداقة. وأنه يشعر بإهمال الآخرين له،وأنه لا يوجد من يفهمه، وأنه خجول، وأن الناس منشغلون عنه (محمود عطا،١٩٩٣)

وقد ميز"ويس Weiss ١٩٧٣ بين نوعين من أنواع الوحدة النفسية أولهما:الوحدة النفسية الناشئة عن الانعزال الانفعالى، وثانيهما الوحدة النفسية التى تنجم عن العزل الاجتماعى. فالأول:نتاج غياب الاتصال والتعلق الانفعالى، فى حين يرجع النوع الثانى إلى انعدام الروابط الاجتماعية. وكلا الطرفين فى الواقع خبرتان مؤلمتان،فضلاً عما يصاحبهما من أعراض التوتر والاكتئاب وعدم الشعور بالراحة. وقد توصل"فايس"إلى أنه من الصعب أن يكون تكوين صداقة جديدة هو البديل للتخلص من الشعور بالوحدة النفسية فيميل الشخص الذى يعانى من غياب عنصر الحب فى علاقاته بالآخرين إلى الشعور بالوحدة النفسية المؤلمة وذلك على الرغم من إمكانية تواجد أصدقاء أو أطفال يمكن قضاء معهم بعض الوقت، وقد افترض كل من"روبنشتين، شافر"(١٩٨٠) على أن الوحدة النفسية التى يتعرض لها المراهق لها جذور فى مرحلة الطفولة، أى أن تعرضه فى سنوات عمره الأولى إلى خبرة الانفصال عن الوالدين، أو فقد أحدهما،أو النبذ والاهمال من العوامل المسئولة لمشاعر الوحدة. فيبحث الإنسان بطبيعته عن الاقتراب Proximity من الآخرين، ولاشك أن تعرض الطفل فى سنوات عمره المبكرة إلى خبرة الوحدة يعد فى حد ذاته مؤشراً غير مطمئن وخطيراً فى الوقت ذاته لما سوف يكون عليه فى سنوات حياته اللاحقة. وتظهر هذه المؤشرات بجلاء، عندما ينفصل الطفل عن والديه وخاصة الأم. (مايسة أحمد النيال،١٩٩٣).

ج- قـــوة الأنـــا :

تعتبر قوة الانا أحد السمات الشخصية والتى بدورها تؤثر فى تكوين المعانى لدى الفرد باعتبارها سمة من سمات الشخصية، وقوة الأنا عند "رايموند كاتل" Cattell سمة مصدرية Source Trait وفقاً لتصوره فى الشخصية وليست سمة سطحية، ودعمت نتائجه فى قياسها وتقديرها فى مقياسه (16PF) ما قالت به نظرية التحليل النفسى حيث أظهرت ارتباطاً سلبياً ثابتاً مع سمة العصابية والقلق ، وهى سمة تتمثل فى عدم القدرة على التحكم فى انفعال الفرد ودفعاته، خاصة عندما تجد بعض الإشباعات الواقعية للتعبير عنها، كما تبين دراساته على أن ارتقاء قوة الأنا كانت أقل عند بعض الحالات العيادية (الكلينيكية) التى يكون موضوعها القلق المستمر ،

والاستهداف للذنب، ويحدد "كاتل" قوة الأنا بعدم وجود كل من : الانفعالية الطفولية ، والمقلقات الزائدة، والاكتئاب ، والتفكير غير الواقعى والادراكات المهوشة.(مصطفي ترك ،١٩٩٧; Cattell, 1967. p. p. 71-75)

وتتشبع الدرجة المرتفعة على عامل (ج) [قوة الأنا] أو عدم الاتزان الانفعالى فى مقابل قوة الأنا والثبات الانفعالى ــ فى بطارية كاتل، ١٦ عاملاً للشخصية ــ ببعض الصفات والخصائص للفرد فهو ناضج انفعالياً ومتزن، ومستقر فى اتجاهاته وميوله ــ هادئ ــ واقعى بالنسبة للحياة، وخال من القلق، رابط الجأش. ويكشف أصحاب الدرجة المرتفعة على قوة الأنا عن مستوى من التكامل الدينامى والضبط الانفعالى الذى وصل إليه. أما الدرجة المنخفضة فتتشبع بصفات ضعف القدرة على تحمل الإحباط ، وتقلب الاتجاهات، والميول، وسهولة الاستثارة، والانفعالية الزائدة، والمراوغة فى تحمل المسئولية، والمعاناة من القلق، والانزعاج وعدم الرضا عن العالم من حولهم ، ومن أسرهم والتبرم بقيود الحياة. (محمد نصر، ١٩٩٩، ص ٩٢،٩١)

ومفهوم قوة الأنا من المفاهيم الرئيسية فى المجال الإكلينيكى، ويشير هذا المفهوم إلى قدرة جهاز الأنا على القيام بوظائفه بكفاءة، كما يشير ضعف الأنا إلى عدم قدرة الأنا على القيام بهذه الوظائف بالدرجة المطلوبة لتحقيق التكيف الشخصى، والتكيف الاجتماعى. وضعف الأنا هو الذى يعبر عنه بالعصابية أو الاستعداد للإصابة بالعصاب، وتتصف قوة الأنا بالتحرر من الأعراض المرضية، وبالقدرة على تحقيق التكيف فى الوسط الذى تعيش فيه، كما يتصف بدرجة عالية من التحكم فى الذات، ويحسن استخدام مهاراته وقدراته إلى أقصى حد ممكن، ويستطيع مواجهة التحديات التى يتعرض لها، سواء أكانت داخلية أم خارجية. فى المقابل نجد أصحاب الدرجة المنخفضة يتميزون بنقص فى القدرة على ضبط الذات وعدم الكفاءة فى التعامل مع البيئة الفيزيقية والاجتماعية، وعدم القدرة على الاستفادة من إمكانياتهم و قدراتهم، وسيادة مشاعر الذنب والاثم، والتقدير المنخفض للذات. (علاء كفافى ، ١٩٨٧)

ونظراً لعلاقة قوة الأنا بالصحة النفسية، يحدد "بيلاك"، ١٩٧٣ مجموع الوظائف الشعورية التى يقوم بها الفرد فى سبيل اشباع حاجاه وتحقيق تكيفة من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ترتبط بنوعية المعانى التى يتبناها الشخص فمن المنطقى أن الشخص الذى يتمتع بدرجة عالية على قوة الأنا قد تكون التوكيدية والانجاز لديه من المعانى الأساسية والمهمة فى حياتة وعلى العكس تكون درجاتة اقل، ويذكر "دالستورم"، و"ولش" Dahlstorm & Welsh ١٩٦٥، أن قوة الأنا ــ عندما تكون مرتفعة ــ تتضمن القدرة على معالجة الضغوط: البيئية، والدافعية، والانفعالية. وتعنى بالضبط الكافى عند التعامل مع الآخرين، وتلقى قبولهم وممارسة تأثيرات حسنة عليهم، وتتضمن كذلك استخدام المهارات والقدرات الموجودة لدى الشخص بأقصى طاقة ممكنة، وتعنى أيضاً أن الشخص يمكنه العمل فى إطار احترام الذات، وفى حدود الأخلاق الحضارية والاجتماعية والشخصية. ويتضمن انخفاض قوة الأنا نقصاً فى كبح الذات والسيطرة على البيئة، ونقصاً فى الوعى المعرفى الذى يعوق قدرة الفرد على معالجة الضغوط والمشكلات غير المألوفة والعقبات (أحمد عبد الخالق ، ١٩٧٩، ص ٢٧٩).

ويتطور الأنا من الناحية التكوينية نتيجة لتفاضل الجهاز النفسى عند مواجهته للوقائع الخارجية، ونشاطه شعورى، وقبل شعورى ، ولاشعورى (حيل الدفاع) ويخضع فى تركيبه لمبدأ الواقع (التفكير الموضوعى ، والمتسم بأوضاع اجتماعية، والمعقول، فى المستوى اللغوى)، ويتكفل الأنا دون الهو والغرائز بالدفاع عن الشخصية وتوافقها مع البيئة ، وحل الصراع بين الكائن الحى والواقع، أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحى ، وينظم الوصول إلى الشعور والى التعبير الحركى، ويضمن الوظيفة التنسيقية. (لاجاش،١٩٥٧،ص ص ٦١-٦٥)،كما أن تطور الأنا منبئ للانفعالات الإيجابية والسلبية المستقبلية وعمليات الهوية (Helson,et,al. ,2001)

وتعنى قوة الأنا بوجه عام، القدرة على توافق الفرد مع نفسه، ومن حوله، والخلو من الأعراض المرضية العصابية، فهو القطب المقابل للعصابية. (أحمد عبد الخالق. ١٩٧٩، ص ٢٧٩)

د) معنى الحياة والشخصية والثقافة :

يلعب الإطار الثقافى الشامل لمؤسسات التنشئة وما يرتبط بها من معايير تحكم سلوك الأفراد - دوراً كبيراً- فى تشكيل وبناء الشخصية من خلال ما تقدمه من تدعيم لسلوكيات وقيم ومبادئ تتأصل لدى الفرد وتصبح أشبه بالتنظيم الثابت. ومن المسلم به أن الشخصية هى التنظيم الذى يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخلق الفرد Character ومزاجه Temperament وعقله Intellect وجسمه Physique والذى يحدد توافقه المميز للبيئة التى يعيش فيها (دينس تشايلد،١٩٨٣، ٢٤٤) وقد سبقت الإشارة إلى أن الشخصية جانب مهم من السياق الخاص بالفرد والذى يؤثر فى بناء المعنى. ويتأثر بالسياقات الآخرى المحيطة به، كالسياق العالمى والمحلى وهذه السياقات تتلون بصبغة ثقافية كلية (صفة العمومية) وفردية (خاصة صفة الفردية). وقد كشفت كثير من الدراسات على وجود خصائص عامة للثقافات بشكل عام: فيها ما يركز على الفردية Individualism ومنها ما يركز على الجماعية Collectivism. وتنقسم هذه الخصائص إلى اشكال ممارسات الأدوار المختلفة فمنها ما هو رأسى تراتبى هرمى ومنها ماهو عرضى. (Triandis,2002; Church,2000)

وتورث المؤسسات المختلفة للتنشئة خصائص هذه الثقافة عبر عملية تعلم كبرى لجميع الأفراد الذين تجمعهم صيغة ثقافية ترتبط بهذه الثقافة فيتوافق مثلاً مع فردية التوجه وأساليب التنشئة المحفزة لخصائص الإنجاز، والتوكيدية، وتحديد الأهداف. . . الخ.

ومن جانب آخر تفترض بعض الدراسات بعالمية سمات الشخصية على المستوى الإنسانى؛ أى بإمكانية أن تكون سمات الشخصية بناءً عالمياً يمكن قياسه من خلال بعض المقاييس كالعوامل الخمسة "لكوستا وماكرى" والتى ظهرت على عينات مختلفة من أمريكا، واليابان، وكوريا، والبرتغال، والصين، والهند، (McCrae,et. al,1997)، هذا فضلاً عن دراسة Boele ١٩٩٨ (Raad,1998) . ودراسة Cheung وآخرين حيث كشفت عن أن أربعة من عوامل الشخصية الخمسة "الانبساط- الطيبة- الثبات الانفعالى- التفتح على الخبرة" عوامل عالمية (Cheung,2004;Cheung,et. al. ,2003)

ومفهوم معنى الحياة وفق منظور الباحثة مفهوم مرتبط بأهداف يسعى الفرد لتحقيقها سواء كان هذا الفرد عضو فى أسرة أو منتمى لطبقة ما، أو فرد فى مجتمع محلى أومجتمع عام عالمى ينتمى للإنسانية. فهو يحتاج إلى أوجه متعدده يحقق من خلالها أهدافه وبالتالى يحقق المعنى الخاص به. وقد كشفت دراسة " بايسسلر وآخرون "٢٠٠٣" عن أن الفروق فى مفاهيم معنى الحياة التى يتبناها الأفراد تتضمن عناصر الثقافة النوعية مثلها مثل عناصر الثقافة العالمية حيث درس تصنيف معانى الحياة لأربع مجموعات مختلفة من أمريكا الجنوبية من حيث: المكان ، والمستوى التعليمى، والمستوى الاقتصادى. (Baessler,Judith,et. ,al,2003).

ولذلك لابد من الوقوف على تاثير المستويين الفردى "المحلى" (culture specific"EMIC")، الكلى "العالمى" (universal "ETIC") فدراسة جانب دون آخر يغفل معلومات هامة عن طبيعة الموضوع المدروس. (Jardine,2004) كما يتضح مما يلى:

١- سياق عام عبر حضارى للشخصية "عالمى" universal "ETIC"

٢- سياق محلى فردى (culture specific"EMIC")، فى مجتمعات بعينها.

ويوضح الشكل رقم (١٣/٢) والذى تقترحه الباحثة علاقة معنى الحياة بالشخصية والثقافة

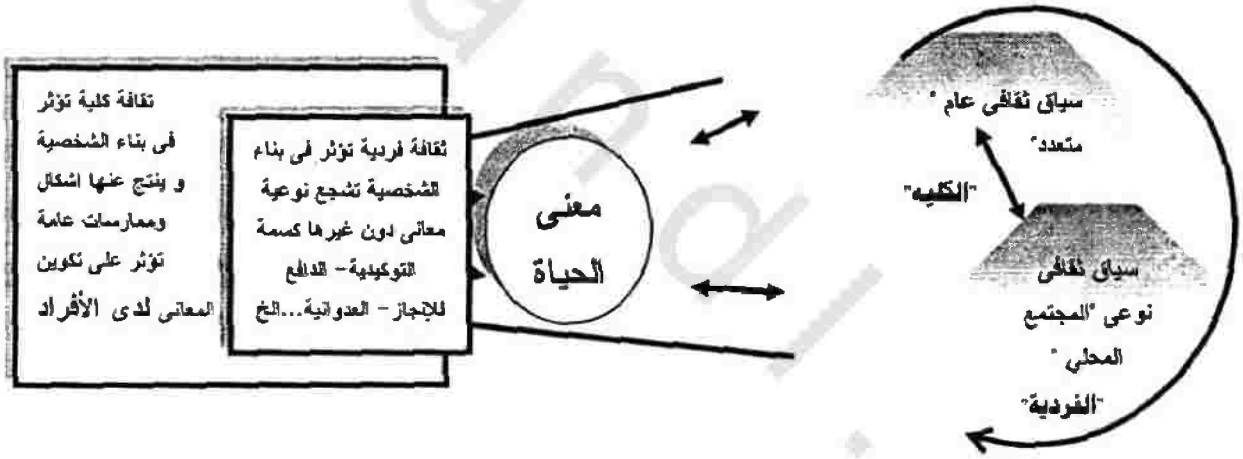

شكل رقم (١٣/٢) مقترح يوضح علاقة معنى الحياة بالشخصية والثقافة

السيـــاق العـــام :

ويوضح هذا المستوى مدى تأثير السياق العالمى على الشخصية ومدى ارتباط المعانى بها ويوضح أهمية الثقافة الكلية كعامل مؤثر فى تكوين المعانى، فعلى مدى السنوات السابقة ترددت العديد من الأسئلة من قبل بعض العلماء منهم "Geertz" ١٩٧٣ ، "Shelley Rosaldos" ١٩٨٤، "Triandis" ١٩٨٩، والتى تدور حول دور الثقافة فى التأثير على بعض المفاهيم مثل مفهوم الفرد عن نفسه والانفعالات وغيرها فهى تتأثر بمعانى

الثقافات الخاصة والعامة. وعلم النفس اهتم بالبحث فى هذا الموضوع ومهتم أيضاً بالعمليات والطرق التى يستخدمها الأفراد فى تكوين المعانى على المستويين العام (الجماعى) والنوعي (الفردى)

(Markus&Kiayama,2003 ;Robin,2001 ;Church,2000).

وهنا نبحث فى سمات جماعية ونرى ارتباط المعنى بها من خلال **العوامل الكبرى للشخصية** وهى **الانبساط – الاتزان الإنفعالى – الطيبة – يقظة الضمير – الفكر.**

السياق المحلى النوعى :

ويوضح هذا المستوى مدى تاثير السياق المحلى على الشخصية وتكوين المعانى وبالتالى لنتعرف على نوعية المعانى التى يتبناها الأفراد دون غيرها فى ثقافة ما لتسيير حياتهم فمثلاً المجتمع الذى تسوده ثقافة تشجع على العمل والإنجاز يكون المعنى المتوقع أن يتكون لدى الأفراد هو النجاح، بينما إذا كانت العلاقات الإنسانية والحميمية هى ما تحفزه ثقافة المجتمع فيكون الحب هو المعنى المتوقع تكوينه. وبالطبع يمكن للثقافة الواحدة أن تشجع أكثر من معنى. ويمكن أن نتعرف على ارتباط المعنى بسمات بعينها ترتبط بها.